شجرة التوت

ديوان شعر

دكتور حامد طاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم . .

كتبت من الشعر العمودى كما كتبت من الشعر الحر . وفى كلا الحالين كنت أترك نفسى على سجيتها لتنطلق فيهما ، دون أن أحسّ بأى عائق ، بل على العكس ، رحت ألتزم بالتقاليد المرعية فى كل منهما . وحينما جربت قصيدة النثر ، كان ذلك بغرض محدد ، يتمثل فى إمكانية ترجمة معانيها إلى إحدى اللغات الأجنبية ، حيث كان الموضوع يتطلب ذلك.

وقد أشار علىّ بعض أصدقائى من محبى الشعر العمودى أن أجمع ما كتبته من هذا اللون فى ديوان واحد ، حتى يكون إثباتاً لقدرة على التواصل مع أصول الشعر العربى ، ومن غير أن يفقد شيئاً من أساليب التجديد التى طرأت على الأسلوب العربى فى العصر الحديث .

راقتنى الفكرة فقمت بجمع ما سبق أن كتبته ، وأضفت إليه الكثير مما لم أنشره فى أحد دواوينى السابقة ، وحين حاولت أن أضع عنواناً يعبر عنه ، ويكون دالاً عليه ، وقع اختيارى على عنوان إحدى قصائدى الأثيرة وهو " شجرة التوت " .. تلك الشجرة العتيقة والمفعمة بالخضرة والحلوى معاً ، والتى كانت وستظل عندى رمزاً من رموز الصبا ، وعلامة على أجمل فترات الطفولة . .

أذكر أننى كتبت قصيدة شجرة التوت وأنا فى السنة الثالثة بكلية دار العلوم ، ويوم ألقيتها فى مهرجانها الشعرى الكبير الذى كان يعقد فـى كـل عام ، استحسنها واستعادها أكثر من ألف مستمع ممن يدركون جيداً قيمـة الشعر العربى ، وبسببها اختارنى الشاعر الكبير صلاح عبدالصبور لكى أمثل مصر فى مهرجان الشعر التاسع ، قائلاً لى : لقد اسـتخدمت كـل عناصـر الشعر الحر فى هذه القصيدة العمودية ، ولذلك فإننى أود أن يسمعها منـك الشاعر الكبير عزيز أباظة ، وكان حينئذ مقرر لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للآداب .

تروح الأيام وتمضى الأعوام ، وسوف يبقـى الشـعر العربـى فـن العربية الأول ، بمعنى أنه الفن الخارج من أعماق النفس العربية ، المندفع بقوته الذاتية ، والمستمد تقاليده من أصالة الماضـى ، بكنـوزه الظـاهرة والمخبوءة . ويكفى أن الإنسان العربى على الرغم من ابتعاده ، أو بالأحرى إبعاده عنه ، مازال يهتز لسماعه ، ويتأثر بالجملة التى أحسن رصفها فيه .

تحيتى للقارئ العزيز ، وأرجو أن يجد فـى هـذه القصـائد بعـض الأحاسيس التى استغرقتنى بالكامل ، وأنا أكتبها . . من أجله .

حامد طاهر

ثورة الإحساس

الشاعر :

الفـــراغ الرهيـــب مـــلءُ حياتِـــهْ

فـــارحمى شـــجوه ، وطـــول شـــكاتِهْ

إنه فى حماكِ يقتلع الطـين ، ويمضـى مخلفـاً بصـماتهْ

رافعـــاً للســـماءِ قلبـــاً كبيـــراً

يتهـــادى الخشـــوع مـــن خفقاتـــهْ

ناســجاً تحــت سُــدّة العــرش عشــاً

ربمـــا كـــان مســـجداً لصـــلاتهْ

مـــن ضـــلوع تيبَّســـت ، ورمـــوش

أســـقطتها الأحـــزانُ فـــى عبراتـــهْ

* *

ارحميه .. فقد تنازعت الأرض خطاه ، وضـــلَّلت نظراتـــه

صار لا يعرف الطريق إلى الفجر ، وأضحى يتوه فى جنباته

كلمـــا شـــفَّ نهـــره كدّرتـــه

قطـــرات ينـــبعن مـــن رغباتـــه

كلمـــا صـــافح النجـــوم تهـــاوى

ســـــاعداه .. لمـــــا يجـــول بذاتـــــه

مـــن حنـــين إلـــى الثـــرى فـــى دمـــاهُ

وعُطـــــاشٍ إلـــــى الـــــدجى فـــــى لهاتـــــه

الملهمة :

يـــا جنـــاح الإنســـان .. رفقـــاً بجســـم

شـــــدّه الطـــــين ، واحتـــــوى نزعاتـــــه

ثـــم ألقـــاه فـــى فـــراغ عميـــق

كـــلَّ يـــوم .. ينهـــار فـــى طبقاتـــه

لم يزل هكذا .. يسير إلى القاع ، وروح السمو من غاياته

تتـــــراءى لعينـــــه مـــــن بعيـــــد

ثـــم تخفـــى علـــى صـــدى عثراتـــه

ومَضَـــــةً تعبـــر الفضـــاء ليبقـــى

غليـــان النيـــران فـــى زفراتـــه

الشاعر :

تَعِـــسَ الجســـم .. مـــا أردت عـــلاه

فاســـــحقيه ، وبعثـــــرى ذرّاتـــــهْ

يـــا ريـــاح الفنـــاء ثـــورى عليـــه

واطعَمـــى يـــا نســـور كـــلّ رفاتـــه

لا تبقّـــــى .. فكلـــــه لعنـــــاتٌ

نـــوْتُ مـــن حملـــه ، ومـــن لعناتـــه

واسطعى أنت .. يا مطهرّة الروح عليه .. لتغسلى خطراته

ثـم سـيرى بـه .. إلـى حيـث يعلـو

عـن وحـول الثـرى ، وعـن ظلماتـه

الملهمة :

لا تحلّق .. فأنت للأرض – مهما صرت – قلب يعيرها دقاته

فيـــداوى جراحهـــا إن تنـــزّتْ

ويفـــدّى حياتهـــا بحياتـــه

قـد تغنـى لهـا .. وروحـك بـاك

مـا أجـلَ الإنسـان فـى تضـحياته !

قـد يـذوب الوجـدان منـك ، ويفنـى

مـا الـذى تسـتفيده مـن ثباتـه ؟

ولقـد تشـهد النكيـر يـدوّى

بعـد هـذا .. فـلا تُصـغْ لدعاتـه

الشاعر :

إيـــه يـــا غـــادتى .. حـــديثك صـــافٍ

فـــامنحينى الكثيـــر مـــن كلماتِـــهْ

وامسحى فـوق مزهـرى .. فسأمضـى

عازفـــاً للوجـــود فـــى مأســـاته

ربمّـــا هـــزة الغنـــاء ، فـــألقى

رمحـــه ، واســـتراح مـــن طعناتـــه

ربما اخضوضر السلام بجنبيه ، وعاد الندى إلـى زهراتـه

يومهـــا .. أعبـــر الطريـــق ســـعيداً

بســـموّ الإنســـان فـــى غاباتـــه

أغنية الراعى

مــن ربــوةٍ خضـــراءَ نائمــةٍ بأحضــان الجَبَــلْ
ســاق النســيمُ الصَّــبُ أغنيــةً كرَنَّــات القُبَــل
يشــدو بهــا راع ، خلــىُّ البــال ، مشــبوبَ الأمــل
متفائــلُ برحابــه الآفــاق ، والعشــب المُطِــلّ

* *

. . وتــذكرَّ الراعــى دعــاء الأم فــى غــبش الصــباح
"اذهــبْ بنــىَّ إلــى ســبيل الــرزق . . يصــحبك الفــلاح ،
"واحــذر مــن الــذئب اللعــين ، ومــا تخبِّئــه الريــاح "
"بــل عُــدْ ســريعاً يــا بنــىّ .. فكــم أخــاف مــن البطــاح!"

* *

ومضــى يعيــد خيالُــه طيفــاً لســلمى مشــرقاً .
كبدايــة الفجــر الوليــد ، إذا ســرى وترقرقــا
كالبــدر فــى كبــد الســماء ، وقــد ســما وتألقــا
كــالزهر بلّلــه النــدى فبــدا جمــيلاً مطرقــا

* *

أوْ هكــذا جــاءت ســليمى عنــدما كــان اللقــاءْ ..
تخطــو .. كمــا يخطــو الغــزال إذا تخطَّــر فــى حيــاء

ضـــحكاتها النشـــوى تكسَّـــرْ بـــين طيـــات المســـاء
فتـــذوّب الألـــم الألـــيم ، وتبعـــث الأمـــل المُضـــاء

*   *

ومضـــى يهدهـــد قلبـــه الخفَّـــاقَ مـــن لَهَـــف الغـــرام
ويـــداعب النـــاىَ الحنـــون بأغنيـــات مـــن هيـــام
تنســـاب فـــى غَيَـــد الهـــدى ، وتـــرنّ فـــى ســـمع الغمـــام
وفـــؤاده الخفـــاق يـــنعم بالســـكينة والســـلام

*   *

وعلـــى نُبـــاح الكلـــب .. أخلـــد للطريـــق المكفهـــرّ
ملأتـــه أصـــواتُ البنـــادق فـــى جنـــونٍ مســـتعرّ
كعواصـــف غضـــبى .. تبعثـــر كـــل أوراق الشـــجر
وتبيـــد مـــا زرعتـــه أيـــامُ الخصـــوبة والمطـــر

*   *

وتوقـــف الراعـــى يـــرى : مـــاذا ســـيفعله الطغـــاة
بـــالأمس كـــان أبـــوه يرعـــى إنهـــم قتلـــوا أبـــاه ..
واســـتاق جنـــدهم المُعربـــدُ مثـــل هاتيـــك الشـــياه
وتمثَّـــل الثـــأرُ القـــديم بقلبـــه ، فغلـــتْ دمـــاه ..

*   *

ورأى الجنـــود تجمَّـــع القطعـــان فـــى عصـــف عتـــىّ
فَعَـــدا يخلّصـــها بكـــل شـــجاعة القلـــب الأبـــىّ
بعصـــاهُ .. بالنـــاى الحنـــون .. بســـوْرة العـــزم الفتـــىّ
بـــالروح .. ينفثهـــا مـــن الأعمـــاق فـــى بـــأس قـــوىّ

* *

وعلـــى الثـــرى انفجـــر الـــدم المـــوّارُ مـــن جســـد الشـــهيدْ
يغلـــى بأحقـــاد الأســـى المكبـــوت ، والأمـــل الشـــريد
والنـــاى أخرســـه الطغـــاةُ ، فنـــام مختنـــق النشـــيد
يحكـــى انطفـــاء الحـــق فـــى الـــدنيا ، وســـيطرة الحديـــد

سفينة

أراكِ تنظرين في وجوم شاعرٍ .. حزينْ
وتسكتين فوق صفحة المياه ، تسكتينْ
عيناك .. لم تعدْ جفونها تفيض بالحنين
شراعك المرفرف الأحلام .. مطرق .. مهين
قوادم المجداف غاصت في تلال طين ..
شطآنك الخضراء لا يلوح فوقها يقين
حائرة حبلاكِ في مستقبل الجنين
تشكو إلى الربَّان ، والربان معتم الجبين
رحلته بغير شط .. صوته بلا رنين
لكنه مغامر .. ما هزَّ قلبَه أنين !
إصراره عناد قلعةٍ .. خطاه لا تلين

*   *

يا دفَّة الربان .. أين حكمة السنين ؟
بطنُ السفين مثقلْ .. فكيف تُبحر السفين ؟

الشاعر الأعمى

طغتْ من سحرها سلمى .. فقالت : إنه أعمى
ضريرٌ لايرى الأشواق فى عينىّ ، والحلما
وراحت فى إيماء الحسن تهدم قلبه هدما
وتطوى أمنيات الحب من أعماقه الهَيمْا

*　*

أجلْ أعمى .. ولكنْ فى دمى المّوارِ أضواءُ
وبين جوانحى فجرٌ من التَّحنان وضّاء
ونهرُ مشاعرٍ بيضاءَ لم يكْدُرْ به الماءُ
ودنيا من أغاريد لها بالقلب لألاءُ

*　*

أجلْ أعمى .. إذا ما ضلّ فى الطرقات ، أو تاها
ومدّ عصاهُ قبل خطاهُ .. ثم ارتاد مجراها
ولكن إنْ رنا فى الكون بالوجدان .. ألقاها
وجاوز أعمق الأسوار .. راح يخاطب الله !!

*　*

أجلْ أعمى .. كما قالت .. وأعمى لا يرى السحرا

وكيـــف يحـــسّ هـــذا الحســـن إنْ نـــاداه أو أغـــرى ؟!
أنـــــا يـــــا غـــــادتى قلـــــب بإحساســـــاته أدْرَى
يكـــاد يثيرنـــــى فـــى الليـــل همـــسُ الـــوردة العَـــذرا ..

* *

أنـــا لحـــن .. ســـرى فـــى النـــاى فـــيضُ جـــواه ، فاحترقـــا
وســـال علـــى ربـــى العشـــاق ، فـــاهتزّت لـــه نزقـــاً ..
أذبـــت كشـــمعة القـــديس أشـــواقى هنـــا أرقـــا
وعشـــت أصـــوغ للآفـــاق مـــن دنيـــا الهـــوى أفقـــاً

* *

أنـــا قلـــبٌ يفـــيض الحـــبُ والإخـــلاصُ مـــن نبعِـــهْ
ويســـرى فـــى حنايـــاهُ الهـــوى ، والـــودّ مـــن طبعـــه
وهبـــتُ النـــاس تغريـــدى ومـــا غـــردّتُ فـــى ربعـــه
وعـــدت اليـــوم ألقـــاه غريـــق العمـــر فـــى دمعـــه

* *

أنـــا كَـــرْمٌ .. تكـــاد الـــريحُ تُســـلمه إلـــى الـــرَّمْسِ
وتحـــرق منـــه أزهـــار الصـــبا فـــى زحمـــة اليـــأسِ
ويســـقط بعـــدها لـــلأرض حيـــث معـــاولُ الشـــمس ..
هنـــا يبكـــى الهـــوى كَرْمـــاً غـــذاهُ سُـــلافة الكـــأسِ

* *

ســـــيبكيه .. ســـــيبكى الحـــبُّ فـــى دنيـــاه ، والأمَـــــلا
ســـــيبكى ســـاقياً روَّى ظمَـــاءَ النـــاس .. مـــا نهَـــلا
وعـــاش يـــدير فـــى الأحبـــاب أكوُسَـــهم ، ومـــا ثَمِـــلاَ
ســـــيبكيه .. ســـــيبكى فيـــه ذاك الشـــاعر الغـــزِلا

المنظار الأسود

أغنيـــاتُ الهَـــزار والعنـــدليبِ
هَجْنَ فـى القلـب ثـورة مـن لهيـبِ
وأثَــرْنَ اضــطرام ذكــرى ، تربَّــت
فــى فضــاء مــن الفــؤاد رحيــب
كــان بــالأمس روضـــةً للتغنِّـــى
وغـــداً اليـــوم مأتمـــاً للنحيـــب
كلمـــا فجـــرّ الـــدموعَ ثـــراهُ ..
صُغْنَ فى الصـدر غابـة مـن نـدوب
تتلاقـــى غصـــونُها فـــى اشـــتباك
غســـقىّ .. علـــى غـــراب كئيـــب
قـــام فـــى عشـــه القـــديم يغنـــى
غنـــوة اليـــأس والأســـى والمشـــيب
وانطفاء النهار فى قبضة الليل ، وجـرح الكسـير ، والمغلـوب
ويـــرى الكـــون .. لا يـــرى فيـــه إلا
لوحـــة الجـــدب ، أو ظـــلال الشـــحوب

ويحـــسّ النســـيم .. لكـــنْ بخـــدّ

مـــزّق الشـــوكُ مـــن رداه القشـــيب

*   *

ويلوم الذى تجاهل مـــا بـــى : "لِـــمَ تشـــدو بمزهـــرٍ مشـــبوب

"فيه تسرى اللحونُ موّارةَ الحزن ، وتخبو عواطـــف التشـــبيب"

"أين عُرسُ الحياة، أو بهجة الكون، وأين الهوى، وسحر القلوب"

" كـــل حـــىٍّ تبســـمت شـــفتاه

ومحيَّـــاك دائـــم التقطيـــب"

" كـــل حـــىٍّ يقـــول للصـــبح : مَرْحَـــى

وأرى فيـــك لهفـــة للغـــروب !"

" كل حى يعانق الفَرْح إلا أنت .. يا ابن العـــذاب والتعـــذيب ! "

*   *

قالها .. ثم غاب فى زحمة الناس ، وولى إلى ضـــجيج الـــدروبِ

تاركاً فـــى الضـــلوع إصـــرارها المـــرّ يـــدوى بأنـــةٍ ووجيـــبِ

" كيف يعطـــى الوجـــود عنقـــود خمـــرٍ

من ســـقى الـــدهرُ كَرْمَـــه بـــالخطوب "

" كيـــف يهتـــز للربيـــع ضـــريرٌ

فـــوق عينيـــه عصـــبةٌ مـــن كـــروب "

" كيــــف ينســـاب للريـــاض غـــدير
غاض فـــى ظمـــأة التـــراب الجـــديب "
" كيـــــف ..
يـــا ابـــن الحيـــاة ، يـــا عاشـــق النـــور ، أجبنـــى ..
فما هنا من مجيـــب ؟ !"

الحاقـــد

صـــديقى بـــه داءٌ تفـــاقم واستشـــرَى

وعادت فنون الطب مـــن بُرئـــه حَيْـــرى

وتمـــتم آســـيهِ ، وأطـــرق أهلُـــه

وقد ســـألوا عـــن أمـــره البـــر البحـــرا

وقالوا أخيـــراً : مَسَّـــه الجـــن ! ليـــتهم

دَعَـــونى ، فـــإنى بانتكاســـتهِ أدْرَى

أجلْ ليس لـــى علـــمُ الطبيـــب ، وإنمـــا

صداقةُ أعـــوام تمـــزقُ لـــى الســـترا ..

*   *

حبْونا على الـــدنيا صـــغيريْن ، وانثنـــى

بنا العمرُ ، فاستلقت على قلبنـــا ذكـــرى

وصرنا إلـــى عهـــد الشـــباب ، فضـــمّنا

أليفـــين يغـــدو الســـرّ بينهمـــا جهـــرا

وكان صديقى – خفَّـــف الله مـــا بـــه –

حقوداً .. يناجى الليل أن يخنق الفجـــرا

ومـــا هـــذه أقصـــى منـــاه .. وإنمـــا

يصلِّى لرب الخير كـــى يحـــبس الخيـــرا

فإن هــو لاقــى صــاحباً مسّــه الغنــى
توثّب فى عينيــه مــا يُشــبه الجمــرا
وكــم كــان يلقــانى فيبكــى مــرارة
لأن فلانــــاً قـــد تقدّمــــه شــــبرا
بذلتُ لــه نُصْـحى قصــائدَ .. فــالتوى
وقال : عجيــبٌ أن تصــوّره شــعراً ! !

* *

كذلك شبّ الحقدُ فــى صــدر صــاحبى
رهيباً يهزّ القلب ، والــنفس ، والفكــرا
وتسرى دمــاهُ فــى العــروق فتنتشــي
بما يتــرك الأعمــاقَ مجنونــةً سَــكْرى
تعربــد بالفوضــى ، وتحــرق بالأســى
خواطره العليا ، وأحلامــه الخضــرا ..
فــلا هــو ريّــانُ بمــا فــى كؤوســه
ولا هو ريّان بمــا فــى اليــد الأخــرى
حيــاةٌ تشــد الــروح للمــوت غصّــة
ومــوتٌ يعانيــه المخيَّــر مضــطرا

نهاية المغامرة

علـــى أى شـــطٍّ تســـتريحُ البـــواخرُ
ويبلـــغ مـــا يرجـــوه ذاك المغـــامرُ
ويرضى عـــن الـــدنيا ، ويقنـــع بالـــذى
تُقدّمـــــه للـــــراغبين المقـــــادرُ
منـــاةُ يضـــلّ العمـــرُ فـــى جنباتهـــا
وإن ســـوّرتها بالضـــلوع الخـــواطرُ
وتلقاه .. لا تلقى سوى طيـــف شـــاعر
قـــديم تلقّتـــه القـــرونُ الأواخـــرُ
كتابٌ مـــن الأحـــزان إن شـــئت ســـمّه
وإن شـــئت : بركـــانٌ لظـــاهُ المشـــاعرُ
إذا رحـــت تبلـــوه وجـــدتَ صـــراحة
ظواهرهـــا تنبيـــك كيـــف الضـــمائرُ
وكم ضـــاق بالـــذكرى تحطـــم صـــدرَه
فغنّى غنـــاءَ الـــروح ، والمـــوتُ زائـــرُ
لحون كقاع البحر مـــن رهبـــة الأســـى
وصوتٌ كهمـــس الليـــل غيمـــان حـــائرُ

وفيـــه جراحـــاتٌ مـــن اليـــأس شـــقَّها

زمـــانٌ بعنـــف الحادثـــات مجـــاهرُ

يرائـــى فتصـــطف الكـــؤوس بكفّـــه

ويُرغى ، فتبـــدو مـــن يديـــه الأظـــافرُ

وقـــد عُـــوّدَ النـــاس الشّـــكاة ، وقلبـــه

تحمّل فـــى صـــمتٍ ، وظـــل يصـــابرُ ..

ويـــاكم روى ممـــا أحـــب .. وإنمـــا

مباســـمُ نجـــمٍ تحتويـــه الـــدياجرُ

إذا عبّ منها لـــم يـــذق مـــن روائهـــا

ســـوى مـــا تريـــه للظّمـــاء الهـــواجرُ

وقـــالوا : عميـــدٌ أحـــرق الحـــبُ قلبـــه

ولـــو عقلـــوا قـــالوا : حكـــيم وشـــاعرُ

يهـــوّن للأحبـــاب أيـــام بؤســـهم

ويحنـــو علـــى مـــن هشّـــمته الحـــوافرُ

ويأســـو جـــراح الحاقـــدين .. كأنمـــا

يؤرّقـــه ممـــا يعـــانون .. خـــاطرُ

ودارت بـــه الـــدنيا ، فمـــا دار عقلـــه

ويـــاكم رأينـــا مَـــنْ تُجـــنّ الـــدوائرُ

هو العيشُ صــخرٌ كلــه .. غيــر أننـــا
على دربـــه العـــاتى .. نظــل نخـــاطرُ
ونجنى الأسى مــن كــل حقــل نَــرودُهُ
ونلقى المنــى وهمـــاً برَتْــه الخــواطرُ

* *

إلهى .. لقد طـــال السُــرى ، وســـفينةٌ
على الموج تبغى الشط ، والبحر ســـاخرُ
فمـــدّ يـــداً نحـــو الشـــراع ، تســـوقه
إلـــى غابـــة ، تعلـــو ثراهـــا المقـــابرُ
وتحلـــــو لـــــديها رقـــــدةٌ أبديَّـــــة
تلملـــم مـــا يرجـــوه ذلـــك المغـــامر

البقايـــا

المصابيحُ فى الطريق الطويلة والخطـــى تنقــر الســـماءَ عليلَـــة
ورذاذُ الأمطار يَعْلَــق بـــالمعطف ، والـــريحُ قبضـــةٌ مجهولَـــة
صفعتْ وجهىَ النحيــلَ ، وهــزّتَ أفــرعَ الســـنديانة المجدولـــة
وتلفتُ .. ما هناك سوى النيلِ ، وذكـــراكِ ، والظـــلال النحيلَـــة
وحكايا من الصبا .. لا تقولى : "رحـــم الله أمســـياتِ الطفولـــه!"

*   *

البقايا تمرّدت ملء صدرى حـــين ألقيـــت هيكلـــى فـــوق مقْعَـــدْ
عايش القصةَ الكبيـــرةَ مفتونـــاً ، وكنـــا نؤمُـــه حـــين نُجْهَـــدْ
الذراعان ضـــمةٌ مـــن حنـــان وحـــديثٌ عـــن الهـــوى متجـــدّد
وتقولين : ما أرقّ الليالى لو مضت هكـــذا : لقـــاءٌ وموْعـــدْ ! "
طفلةً كنت تعبثين بأشـــواقى ، وتلـــوين جيـــدها لَـــوْ تمـــرّد ! !

*   *

كلماتُ الصباح .. يا لسعة النار ! وهل أنت قلتِهـــا لـــىَ حقـــاً ؟!
"ســـوف تنســـى كمـــا نســـيتُ .."
حروفٌ سحقتْ خاطرى المعـــذَّب سَـــحْقا
وتبســـمتِ ، والـــدموع بعينـــىّ تناديـــك بالهزيمـــة : "رفقـــاً!"

*   *

ثــــم خلفتنـــــى أمـــــد ذراعـــــاً

والهوى مطــرق علــى الأرض ملقــى

انحنـــــــت أضــــــلعى وضـــــمته

شــيئاً مـــن كيـــانى قطعتـــه وســـيبقى

* *

طلع الفجر من وراء الغمامات بطيئـــاً ، وسقســـقت عصــفورَةْ

فى الغصون العجاف ، وابتدأ الناسُ يدوسون وحدتى المهجــورةْ

وتلفـــــــتُّ : الـــــــرؤى غائمـــــــاتٌ

والبقايـــــا هيَّابـــــةٌ مــــــذعوره

دفَنـــــتْ فـــى الزحـــام وجهـــاً نحـــيلاً

وتلاشـــت علـــى تـــراب الظهيـــرةْ

تحيتى إليهما

تحيتـــــى لكــــل شـــــاعر أحــــبّ شـــــاعرة
وذوّبـــــا هواهمـــــا علـــــى ومــــيض مجمـــــرة
دخانهـــــا قصــــــائدٌ شـــــــجيّة معطّـــــــرة
ونارهـــــا رطيبـــــة مــــن الحنــــان .. نيّـــــرة

* *

خطاهمـــــا إلــــى اللقـــــاء أغنيــــات قُبَّـــــرة
ويجلســـــان فــــى حمــــى لبلابـــــه مخضوضـــــرة
يســـــائلان : كيـــــف فجّـــــر الغـــــرام أنهُــــرَهْ ؟
ومـــن ســـعى إلـــى الجمـــال فـــى الـــدُّنا ، وأظهَـــرَهْ ؟
ومـــــن أقـــــام للنـــــوى هنـــــاك .. ألـــــف مقبـــــره ؟
كأنَّهـــــا شـــــواهد علـــــى الأســـــى .. مبعثـــــرَهْ
تلـــــوح خلـــــف واحـــــة الحيـــــاة .. كلهـــــا شـــــرَهْ !
ويســـــكتان ســـــاعةً طويلـــــة مفكِّـــــرة
تفلســـــف الوجـــــود .. تستشـــــف منـــــه جـــــوهرَهْ
ويرجعـــــان بعـــــدها خـــــواطراً محيّـــــرة !
يتمتمـــــان فـــــى حيـــــاء غـــــادةٍ مخـــــدَّرهْ ! !

ويكشفان عن لهيب لهفةٍ مسعَّرهْ
تسير في الشفاه رعشةً .. تسير مجبرَهْ
فيسمع السكون قبلةً ترنّ مُسْنكِرهْ
كأنها من الخلود لحظةٌ مقدَّرَه !

*   *

وفي الوداع يمزجان أدمعاً معبِّرهْ
وينفثان لوعةً وينسجان معذرهْ

*   *

تحيتي إليهما .. تحية منضَّرهْ
تذوب في هواهما وتستميح مِزْهرهْ
لكم وددتُ أن أعيش سحره ، فلم أرَهْ !

البحيـــرة

فـــى ميـــاه البحيـــرة الرقراقـــة

زورقٌ شـــدّ للمســـير نطاقـــه

مستعيداً من الشباب صباباتٍ ، ومن عَزْمة الحيـاة .. انطلاقَـة

كـلّ مــا فيــه كومــة مــن شـباك

قاســمته علــى المــدى أرزاقــه

وشراعٌ .. رَفَتْه من أثر الخـرقِ .. عجـوزٌ ضـريرة مشْـفاقه

لفتاهــا .. الــذى تفــحٌ كــالزَهر صــباهُ .. نضــارةً وطلاقــة

وغداً يعشق الهروب من الشطّ ، ويـدعو إلـى الميـاه رفاقـه

ليس يدرى الصــبى .. واللهــوُ يجــرى

فـــى دمـــاهُ .. حكايـــةَ ألاقـــه

ملءَ صدر العجوز .. تنتظر الليل ، فتســرى لروحــه التوّاقــه

ذكريات تضئ فى قلبه الكون ، وتــروى مــن الظمــا أشــواقه

"إيه يا طفلى الحبيبَ .. وقد صرت فتياً .. ولم تعُدْ بــى طاقَــة"

"كــاد يــوم الرحيــل يقــرعُ بــابى

وشـــظاياه تســـتبيح اختراقـــه "

"وأرى العمر فوق فُوَّهَةِ الموت .. يعــانى خفوتــه واحتراقــه"

فرنـــا الطفـــل للعجـــوز مليّـــا

ثـــم ألْقَـــى دموعهـــا المُهْرَاقـــه

تتهـــاوى علـــى طـــراوة خدّيـــه ، وتكـــوى بلـــذعها أحداقَـــهْ

وصـــدى صـــوتها العميـــق يـــدوّى

فـــى حنايـــاه .. مضـــرماً أعماقـــه

* *

"ذات يـــوم .. ســـمعتُ – يـــا ولـــدى–

الناس يســيرون فـــى خطـــى سَـــبَّاقه"

"وضجيجاً يثور مـــن جهـــة المـــاء ، ويشـــتد نافخـــاً أبواقـــه "

"وأتتْ جارتى تولـــول فـــى الكـــوخ ، وتُلقـــى بلفّـــةِ خفّاقـــهْ "

"كنـــت فيهـــا وليـــدَ عـــامٍ .. وصـــاحتْ

مـــات زوجـــى ، تعمّـــدوا إغراقـــه"

" يا لجوع الذئاب .. يصرخ بالحقد ، وينصبّ قســـوة وحماقـــه"

"احفظـــى خـــالتى الصـــغير برفـــق

ثـــم ولّـــت لثأرهـــا منســـاقه "

" فـــى جمـــوع تمـــدّ للمـــوت كفـــا

وبكـــفٍّ تفجـــرّ الإشـــراقه "

"لم تعـد بعـدُ يـا صـغيرى .. وأنّـى
يلفـظُ المـاء مـن حشـاه رفاقـه !"
وتراخـت قُـوى العجـوز ، فنامـت
نَوْمَـةَ الـروح ، لا تـروم إفاقـةْ
وبكاهـا الصـغيرُ .. ياما بكاهـا
بـدموع سـخينة دفّاقَـةْ !
كلمـا زار قبرهـا ، لـم يدعـه
قبـل أن يُـدمِى الأسـى آماقـه
ويلمّ الزهور تحت ندى الفجر ، ليُلقى على ثرى القبـر باقـه !

*   *

ثم دار الزمان .. فانطفأ الحـزنُ ، ونامـت شـجونُه الخفّاقـةْ
ومشت بهجةُ الحياة إلى القلـب مراحـاً ، وصـبوة ، وطلاقـه
وتراءت علـى البحيـرة أفـراحٌ وغنـت شـفاهُها المشـتاقه
إن مـن يـذهب الغـداة إليهـا
فسـيلقى مياههـا الرقراقـه
ويـرى الـزروق العتيـق .. قويـاً
يتهـادى شـراعُهُ فـى انطلاقَـةْ
وعليه فتى .. يجدّف فى الماء ، ويهدى لمـن بـه .. أشـواقه

الترحيلــة

كــل مـــا يجعـــل الحيـــاة رقيقـــة

أطفــأ الليـــلُ والنهـــارُ بريقَـــة

الجباه السمراء فى وهج الشمس ، ونبض الســواعد المعروقــة

والفؤوس التى ترنّ على الصــخر ، وأكتــاف صــبيةٍ مشــقوقة

ورنـــين المـــوّال إعـــوال ريـــح

فـــى صـــدورِ عرياتـــةِ محروقـــة

مدّ فيها الخريف أغصانه الجوف ، وبُحَّــت أنفاســها المخنوقــة

فى سبيل الرغيــف والظـــل .. عاشــت

رحلة الجــدب والهجيــر .. مسَسُــوقة

يومهـــا مثـــل أمســـها .. لـــيس فيـــه

هَـــدْأة .. تمســـح الجـــراح العميقـــة

ليس غيرُ المساء .. يحتضن الجمع، فتصــحوا أعماقُــه مســتفيقة

يسرد الشيخُ عن صباه الحكايات .. بقايـــا مـــن الفـــؤاد .. ســـحيقة

كم تشــدّ الفتيــان للــنغم الحلــو ، وتنســابُ بالخيــال .. طليقــة

.. وتَجيل العجــوزُ فـــى الكــفّ طرفــاً

والصـــبا قلـــوبهن مشـــوقة

"ربمـــا تصـــدق النبـــوءات يومـــاً "

" ربمـــا ! " .. كلمـــة تلـــوح رقيقـــة

*   *

ومن الجمـــع .. قـــد يهـــامس "قـــيسٌ"

قلـــب "لـــيلاه" .. نســـمة وحديقَـــة

غيـــر أن الغـــرام يُطـــرق خوفـــاً

من عيـــون فـــى روضـــه .. مرشـــوقة

ليس ينسى الجميع "قصة أشواق" .. عواءً ، ولعنـــة، وحقيقـــة

المصـــير الـــذى ترامـــت إليـــه

كيـــف بـــالله للـــرؤى أن تُطيقـــة

"جثـــةٌ للكـــلاب " .. " لا تقربوهـــا " ..

"اغســـلوا الفـــأس مـــن دم الزنديقَـــة !"

"وابحثـــوا عـــن رفيقهـــا : أيـــن ولَّـــى

مزّقـــوا صـــدره ، وشـــدو عروقَـــة "

فتشـــوا الأفـــق يومهـــا ، ثـــم قـــالوا

" شـــق للبندرالبعيـــد .. طريقَـــة "

*   *

هكـــذا يعبـــر المســـاءُ حزينـــاً ..

ويـــداهُ علـــى القلـــوب الحزينـــة

مثلمـــا كـــان منـــذ خمســـين قرنـــاً

ورعايـــا فرعـــون خلـــف المدينـــة

يرفعون الأهرام فى جبهة النيل: شـموخاً، وعـزة ، ورعونـة

فـــإذا أقبـــل المســـاء علـــيهم

فتحـــوا صـــدرهم ، وبثـــوا شـــجونَهْ

أصـــدقاءَ لـــذلك الرمـــل ، عاشـــوا

ثـــم صـــاروا حبّاتـــه ، وعيونَـــهْ

*   *

وتـــدور الأيـــامُ ، والركـــب مـــاضٍ

لا وقـــوفٌ ، لا لفتـــةٌ ، لا ســـكينة

خطـــوات مـــن الأســـى .. مـــثقلات

وأحاســـيسُ بالضـــلوع ســـجينة

وإذ الأفـــق بالغريـــب لهيـــبُ

كيف – يا قطـرة النـدى – يطفئونـهْ ؟

يصرخ السوطُ فى الظهـور ، وتطـوى

قـــدم الليـــل أرضـــهم .. مجنونـــة

وتُشـــق القنـــــاة .. القـــاعُ يـــدرى

كــم بـــه مـــن جمـــاجمٍ مدفونـــة ! !

والميـــــاه التـــــى بهـــا قطـــراتُ

مـــن دمٍ أهـــرق الرجـــال عيونَــــه

وإلـــى الشـــط مـــا يـــزال نشـــيدٌ

يـــذكر البحـــرُ والفضـــاءُ رنينـــه

زاحفـــاً كالريـــاح تجتـــاح هـــولاً

واهنـــاً كـــالمريض يخفـــى أنينـــه

وقُّعُـــــــوهُ تحيـــــــةً لليـــــالى

ومضـــوا فـــى طـــريقهم ينشـــدونه

"يا ضلالَ الموّال فى رحبة الوادى.. متى تهتدى القلوب الطعينهْ!"

"إنها تحمل الحنين إلى الظلّ ، وتشتم فى الهجيـر .. غصـــونهْ!"

" وعلـــى النـــار ترقـــب النيـــل يجـــرى

وادعـــاً يمـــلأ الصـــفاءُ جبينـــه"

"واخضرار الحقول ، والبيدر الثَرّ ، وعرساً مع الحصاد ، وزينهْ "

آهِ يا دمعة تسيل على الخدّ ، وتنســاب فــى التــراب ســخينه

إن بـــالمعول القـــديم عطاشـــاً

للأمـــانى ، وصـــرخةً مشـــحونه

*   *

طلع الصبحُ ذات يومٍ علـــى الركـــب ..

فحيّتـــــه فـــــى الوجـــوه ابتســـامَة

عجباً .. كيف ذوّب الصّدأ المعقود ، وافترّ عن صـــبا ووســـامة

واختفـــــت مـــــن جبينــــه قَســــمَاتٌ

كـــــن يملأنــــــه أســـــى وجهامـــــة

مـــا لموّالـــــه الحــــزين .. ترامـــــى

ضـــاحك اللحــــن ، مرســــلاً أنغامـــة

وعلـــى صـــدره العـــريض .. رجـــاء

كـــان بـــالأمس للقنـــوط علامَـــة

*   *

آه يـــا نيـــل .. إنـــه جـــاء يبنـــى

حلـــم أيامـــــه ، ويرفـــــع هَامـــــة

صـــاعداً صـــاعداً يباركـــه الله ، فينهـــدّ كـــل صـــعب أمَامَـــة

التلال الصفراء ، والحَجَر الصوّان ، والموجُ : ثـــورة واحتدامـــة

فإذا ضمّه الهجيرُ .. توارى خلـــف تعريشـــةٍ ، وغنـــى غرامَـــة

الغدُ المورق الخصيب ..وبيتٌ تلقط الحَـــبّ مـــن ثـــراه حمامَـــة

شجرة التوت

خضرةُ الأرض .. والقرى .. والســـواقى

ورمـــالٌ علـــى المـــدى .. وســـحابَة

وجمـــوعٌ مـــن الحمـــام .. وراع

يتغنّـــى .. ونخلتـــانِ .. وغابـــة

وصفير القطار يتداحُ فى الأفـــق ، وتجـــرى خطواتـــه صـــخّابَة

لحظـــات تهـــز بالقلـــب فرعـــاً

مـــن صـــباهُ ، وتســـتعيد شـــبابة

يـــوم كانـــت دقاتـــه أغنيـــات

وهـــواه تطلعـــاً ، وصـــبابة

والأســـاطير فـــى زوايـــاه نهـــر

يترامـــى .. وشـــاعر .. وربابـــة

ومســـاء معطّـــر بالأمـــانى

واشـــتياق الطفولـــة المنســـابة

وحنـــان يشـــع مـــن عـــين جَـــدٍّ

غضّـــنَ الصـــبرُ والزمـــانُ إهابـــة

فـــإذا مـــا أتـــى الصـــباح .. انطلقنـــا
صـــبية فـــى الفضـــاء نطـــوى رحابَـــهْ
الخلـــيج المـــلآن كـــم ضـــمّ عمـــراً
لـــوّن الحُـــبّ شمســـه وترابَـــهْ
والفَـــراش الـــذى ســـبانا ، فهمنـــا
خلفه فـــى الحقـــول .. نجنـــى ســـرابَهْ
ودبيبٌ إلى المقابر ، واليوم عيون علـــى الكُـــوى .. مرتابَـــهْ !
كـــان شـــئ يشـــدنا للأعاجيـــب ، فنعطيـــه أضـــلعاً وثّابـــه
ومـــع العَـــوْد ، تلتـــوى خطـــوات
أنضـــج الصـــهدُ جلـــدها ، وأذابَـــهْ
فتدور العيونُ تبحـــث عـــن قطعـــة ظـــل .. وللعيـــون انتحابَـــهْ

* *

"دوحةَ التوت .. أسرعوا يـــا رفـــاقى "
وتهـــيج الأنفـــاسُ ، يعلـــو صـــداها
نتبـــارى علـــى الوصـــول إليهـــا
ونغنـــــى إذا بلغنـــــا حماهـــــا ..
وعلى أرضها النديّـــة ترتـــاح جلابيـــبُ أُشـــربت مـــن ثراهـــا
صبغتها الرياح والطـــين والشـــمس مـــراراً .. فغيِّمـــت مرآهـــا

ويهبُ النسيمُ فى الأفرع الخضـــر ، فتمتــد بالعطـــاء يـــداها ..
وتسوق الأوراق رائحة الخصب ، فتمحو عـــن القلـــوب صـــداها
آه يا ضمة الأمومة .. ما أحنى ذراعاً ، وأضـــلعاً ، وشـــفاها!!
تنحنـــــى فوقنـــــا بعطـــــف كبيـــــر
تتلقـــــى عطاشـــــنا بنـــــداها
والعصـــــافيرُ سقســـــقاتٌ عـــــذابٌ
وغصـــــون تيَّاهـــــةٌ فـــــى علاهـــــا
وإذا صـــــيحةٌ تدمـــــدم فينـــــا :
"أيكـــم ينتهـــى إلـــى أعلاهـــا ؟ "
فتهبّ الأكف ، تلتقط الأفـــرع فـــى دُربَـــةٍ ، وتلـــوى قواهـــا ..
"صفقوا يـــا رفـــاقُ للبطـــل الوثّـــاب .."
والشـــمسُ ترتمـــى فـــى مـــداها
عندها نذكر البيوت ، فنستشعر زحف الدجى ، وصـــمت رؤاهـــا
آن أن تبعد البلابلُ فـــى الليـــل ، ولكـــن مـــع الصـــباح لقاهـــا
مـــن جديـــدٍ يـــا أفـــرع التـــوت نـــأتى
غيمـــةً ، يـــدفع الحنـــينُ خطاهـــا

* *

ذكريـــــاتٌ تهزّنــــى حـــين أرنـــو
بخيــالى إلـــى الصـــبا ، وحياتِـــهْ
وتزيد الدقاتُ ، ينــتفض الصــدرُ ، إذا أيقــظ الهــوى طعناتَـــهْ
ومشـــى فـــى العـــروق لحـــنٌ مـــدمًّى
صـــبغت روعــــةُ الأســـى رناتـــهْ
ما تزال الأصداء فى رحبة الأفق ، ولم يبـــرح الســـنا شـــرفاتهْ
وزهـــور علـــى الطريـــق .. ونبـــع
يتهـــادى المـــوّال فـــى موجاتـــه
وتلوح الظلال من خلـــل الـــدمع ، وتنمـــو الحيـــاة فـــى حبّاتـــهْ
تحـــت هـــذى الفـــروع .. كـــان لقـــاء
أرعشـــت نســـمة الهـــوى كلماتـــهْ
وســـكتنا .. فوقـــع الصـــمتُ لحنـــا
يـــا حنـــان الحنـــان فـــى نغماتـــهْ !
صَعَد القلبُ يومها بجناحين مـــن النـــور .. واحتـــوى نجماتـــهْ
ثم أهوى المســـاءُ..
يا شهقة الصدر ، ويا صـــحوةَ الهـــوى مـــن ســـباتهْ
- الضحى نلتقى ..
بعيـــدٌ علينـــا فلـــيكنْ والصـــباحُ فـــى خطواتـــهْ

– عند شط الخليج ؟

لا .. عنــــد أمّ منحــــتْ مولـــد الهـــوى شـــمعاتهْ

إجعليهــــا محرابنــــا .. إن بَعُــــدنا

يقصــد القلــبُ نحوهــا فـــى صـــلاتهْ

*   *

عـــدتُ يـــا قريتـــى أضــمّ حنينـــاً

أبـــدياً .. إلـــى ثـــراك الحنـــونِ

لهفـــةً تشـــرب المـــدى خفقـــاتى

وأضـــمّ الأشـــياء مـــلء جفـــونى

كل خطوى تحيّةٌ لك أهديها .. وكــلُّ الهــوى ، وكــلُّ الجنــونِ

التـــراب الـــذى تمرّغَـــتُ فيـــه

والمســـاء الـــذى أثـــار شـــجونى

والحياة الخضراء فى أفرع التــوت ، وأوراق ظلهــا تحتــوينى

*   *

عدت يا قريتى .. أحدّق فى الناس ، وللناس غربةٌ فـــى عيـــونى

ذابت الألفةُ القديمةُ فى الأعين ، واهتزّت الــرؤى فـــى ظنـــونى

وتســــــاءلتُ :

أين خيمة أحلامى ، وحبـــى ، وفرحتـــى ، ويقينـــى ؟؟

فتلاقـــــت عيـــــونهم ، واســـــتدارت

همســــاتٌ مـــن الأســـى المـــدفونِ

"قُطِعتَـــتْ فـــى الشـــتاء للـــدفء ..

مـــا أقســـى انهمـــار الجليـــد فـــوق الجـــبين ! "

نشيد العودة

حنينـــاً تـــرابَ القـــدس مـــا نـــام ثـــائرة
وشـــوقاً تهـــز العائـــدين مشـــاعرُهْ
وفى الركب لو تـــدرى قلـــوبٌ طغـــى بهـــا
دم الثـــأر مـــوَاراً ، ودوت مغـــاورهْ
وفرسانُ صدق ، صاحبوا الموتَ مذْ حبـــوا
على الأرض – فانصبت عليهم مظـــاهره
زئيـــرُ بـــراكينِ ، وعصـــفُ زلازلِ
وإقـــدامُ هـــولِ .. لا تـــردّ مقـــادِرُهْ

* *

هى الحربُ ، يا ابن الحق ، ما عاد دونهـــا
ســـبيلٌ نـــراه ، أو قـــوىٌ نحـــاذِرُهْ
هفونا لهـــا مـــن يـــوم أن دنـــس الحمـــى
طريدُ وجـــود .. مـــا تجـــفَّ مصـــادره
هو الـــدودُ يمـــتص النـــدى مـــن حقولنـــا
هـــو الجشـــع الظمـــآنُ للشـــر ســـادِرة

تظـــــل أمانيـــــه تنـــــزّ شـــــراهةً

كـــأن الـــدُّنا أملاكـــه وحواضـــرُه

وتســـــنده خلـــف البحـــار عصـــابة

رغائبهـــا أن يُحـــرم الزيـــتَ عاصـــرُه

وأن يحصـــدوا بالبـــأس أثمـــار غيـــرهم

وأن يهـــدموا مَـــنْ قوّمتـــه مـــآثره

وأن يســـترقوا كـــل حـــر ، ويخلصـــوا

إلـــى كـــل معنـــى فـــى دمـــاه يـــؤازرُه

وألا يـــرى الإنســـانُ فـــى الكـــون غيـــرهم

إلهـــاً تـــؤدى كـــالفروض أوامـــره !

* *

لقـــد فرّقتنـــا عـــن لقـــاهم مصـــائبٌ

كبـــارٌ ، ودهـــر جرّحتنـــا أظـــافرُهْ

وآمـــال مُلْـــكٍ زينوهـــا لـــواهم

فطـــار إليهـــا ، والجنـــون يخـــامِرهْ

إلـــى أن أتاهـــا ، فـــالتقى بوعـــودهم

فراغاً ، تهـــاوت فـــى دُجـــاهُ مصـــائره

وصـــارت لــدينا منـــه ذكــرى .. نعيشـــها
وتُمســـك فينـــا مـــن تهـــمّ خـــواطره

*　　*

كـــذلك نجلـــو الأمـــس .. كيمـــا نســـوقه
إلـــى الغـــد مصـــباحاً ، تشـــعّ نـــواظرُهْ
ويفـــــرش آفــــاق الطريــــق أمامنـــــا
فتســـنو دياجيـــه ، و تبـــدو ســـرائره
وتمضـــى جمـــوعُ العائـــدين ، وملؤهـــا
إرادةُ شـــعب ، يـــزحم الأفـــق طـــائرهُ
ليـــومٍ ، تهـــون الـــروحُ فـــى غمراتـــه
ويرجـــع جـــيشُ الله ، والله ناصـــرُهُ

سيمفونية الثأر

قاتـلٌ أنـتَ .. فاسـهرْ الليـل وانظـر
إن هـذى الـدماء لـم تتبخّـرْ
خلفهـا سـاحلٌ مـن النـار .. تـلٌ
مـن رصـاص ، وذكريـات ، وثـأرْ
أنـت أنجبتـه بـأعين قـومى
أنـت ربيتـه علـى كـل صـدر

*   *

لا تنم فالكرى حرامٌ ، إذا كنت غريبـاً، وحولـك الـريح تصـفرْ
والأسـود التـى ذبحـتَ بنيهـا
تتنـادى ، وتلتقـى ، وتزمجـرْ
ظمـأً فـى حلوقهـا يتلـوى
ومـذاق مـن الهزيمـةِ .. مُـرْ
كـلُّ قلـبٍ بـه مـن العـار أخـدود
.. ومـن طعنـة الأسـى ألـفُ بئـرْ

*   *

لا تـــنم أيهـــا الغريـــب .. قليلـــى

يولـــد الحقـــد فـــى دجـــاه ، ويكبـــرْ

جســـداً شـــائه الملامـــح ، يُخفـــى

كـــل أعضـــائه الغريبـــة .. شـــعْرْ

فـــإذا مـــا خطـــا فخفّـــة نســـر

وإذا مـــا رنـــا فـــأعين صـــقرْ

أنـــا أســـقيه مـــن دمـــوع الثكـــالى

وأغذيـــــه بالـــــدم المتخثـــــرْ

*　*

أيهـــا القاتـــل الغريـــب .. ترقّـــبْ

لحظـــات ، فإنمـــا اليـــوم خمـــرْ

لم يزل فى المساء .. يأتى من الأفق صدى صرخة ، ويسقط حرْ

وأنا ما حفرتُ قبراً لقـتلاىَ ، فـإن القبـور فـى كـل صـدرْ

تولد الـروح فـى حشـاها .. وتنمـو

فـــوق أشـــلائها قـــوادم فجـــرْ

عيناك .. والماضى

مقبـــــرةٌ ماضـــــيكِ .. لا تنبشـــــية
دعيــــه مــــدفوناً هنــــاك .. دعيـــهْ
يشــــتبك الصـــــبار مــــن حولـــــه
وترقــــد الأكفـــانُ والـــــدودُ فيـــهْ
وتحتويـــــه الـــــريحُ إمــــا سَــــرتْ
الريحُ .. يـــا عـــار الثـــرى .. تحتويـــهْ
وتســــــكتين .. الله لا تســـــكتى
فخلـــف هـــذا الصـــمت ليـــل كريـــهْ
عينــــاكِ ، والخمـــــرُ بأنفاســـــها
جمــــاجمُ العشــــاق .. أشــــباحُ تيـــهْ

*   *

فــــاتنتى .. قـــد نلتقــــى أذرعــــاً
ملتفــــة الأشــــــواق ، محترقـــــهْ
لا شــــئ دون النـــــار فـــى ليلنــــا
الحــــبّ عـــارِ .. والمنـــــى نَزِقَـــهْ

ويســـــتفيق الصــــبح فـــى ســـاعة

تفجؤنـــــا دقاتهــــا المرهِقـــــة

بــــــرودة الـــــثلج بأطرافنـــــا

وفـــى المــــآقى دمعــــة مطرقــــة

يـــا ذلّهـــا .. لـــو ســـقطت نـــدماً

وجففتهـــــا إصـــــبعٌ مشـــــفقه

ثـــم افترقنَـــا بعـــدها .. بعـــدها

مـــاذا وراء الـــدمّ .. كـــى ألْعَقَــــهْ

* *

لســـوف أغـــدو واحـــداً مـــنهمُ

ممن مشـوا فـى النـار واستشـهدوا

وأصـــــبحت أيـــــامهم قصصــــاً

تحيكنهـــــا لآخـــــر .. يفـــــدُ

الشـــوق فـــى عينيـــه مثلـــى أنـــا

حمامـــــةٌ بيضـــــاءُ .. لا ترقـــــدُ

وقـــد يكـــون شـــاعراً ملهمـــاً

يمنحـــك الخلـــد ، ولا يخلـــدُ

أو بطـــــلاً لـــــم ينهـــزم مـــــرةً

يهـــون عنـــد البـــاب . . يرتعـــدُ

*   *

فـــاتنتى .. لا .. إن فـــى إضـــلعى

عاطفـــــــةً مرهفـــــــةَ الــــــنغمِ

الله فيهـــــا والســــــنا غنـــــوة

لا تصـــــبغى أَلحــــانهم بــــدم !

على هامش الزفاف

لـــــم يُقـــــدَّرْ فـــــى كتــــاب الأزلِ

أن يصـــوغ الحـــبُ غـــش الأمـــلِ

لـــــم يُقـــــدَّرْ أن نـــــرى أحلامنـــــا

تزدهـــى .. فـــى عرســـها المحتفـــلِ

لـــــم يقـــــدر .. كلمـــــةٌ مُصـــمتَة

تُخـــرس الـــنفسَ بجـــرسٍ مـــذهلِ

* *

آه يـــــا قصـــــتها .. لا تنطقـــــى

لـــم يعـــد يســـمعُ قلـــبُ الثَّمِـــل

أســـــكرته حَسْـــــوةٌ دافئـــــة

ظنهـــــا بـــــرءَ الغـــــرم الأوّل

فرمـــى الكـــأسَ، وقـــد ألقـــى بهـــا

كـــلَّ معنـــىً ، عـــاجز ، مكتهـــل

ورنـــا للأفـــق وجهـــاً صـــاخباً

وبريقـــاً مـــن جـــوىً مشـــتعل

"هـــــذه ليلتُهــــــا " .. وانتفضـــــــت

بـــــين جنبيــــــه أمُـــــوسُ الغــــزل

ثــــــائرات بمكــــــان الملتقـــــى

صـــــارخات بهــــوىً لـــــم يــــذبلِ

مقســــــمات بوعــــود .. أطفــــأت

فــــى ليــــالى القــــرب عـــين العُـــذَّل

ومشـــــت فــــى صــــدره أنفاســــها

تلفـــــح القلـــــب بنــــار القبـــــل

فتعالــــــت صـــيحة مــــن دمـــهِ

بـــــث فيهــــا زفـــرات المرجــــل

كيـــف يُغضـــى لقضــــاء ســـاحق

وجـــهُ إنســــان ، وعينـــا بطـــل !

*   *

خطـــوات .. والتقــــت ثورتــــه

بالزغاريــــــد ، وضــــوء المحفـــــل

والأغـــــانى صـــادحات بــــالمنى

وضـــجيج العـــرس مـــلء المنـــزل

والصـــــبايا راقصـــــات طربـــــاً

و "هـــــواه" فـــــى رداء مخملـــــى

تتلقـــــى دعـــــوات ثَـــــرةً

وأمـــــانىَّ بعمـــــرِ جَـــــذِلِ

وعيـــــون كـــــل مـــــا فيهـــــا صـــــباً

عنـــــدها أغمـــــض .. لـــــم يحتمـــــلِ

ومشـــــى للـــــركن يخفـــــى أمـــــره

بابتســـــام غـــــائم مفتعـــــل

*   *

" أيهـــــا الخنجـــــر ، هـــــل تقتلهـــــا " ؟ !

إنهـــــا كانـــــت شـــــعاع الأمـــــلِ

تضـــــحك الـــــدنيا إذا مـــــا ابتســـــمت

يتـــــوارى الســـــحرُ إن لـــــم تُقبـــــل

منحتنـــــى كـــــلَّ مـــــا يـــــروى الظمـــــا

قـــــدّمت لـــــى قلبهـــــا .. لـــــم تبخـــــل !

*   *

فلـــــتعشْ أحلامُهـــــا ناضـــــرة

للنـــــدى .. للحـــــب .. للمســـــتقبل

ولتجـــــفّ النـــــارُ منبعهـــــا

كلمـــا هبّـــت ريـــاحُ الفشـــلِ

*   *

وهـــوى الخنجـــر مـــن قبضـــته

لعنـــةً هانـــت ، فلـــم تنتقـــل

ظـــل فـــوق الأرض شـــيئاً ضـــائعاً

وبقايـــا ثـــورة .. لـــم تكمُـــلِ !

تجاعيـــد

شـــهقة الــــريح علـــى شـــباكها

ويـــدُ الليـــل .. وبعـــضُ الأنجـــمِ

وصـــــدى أغنيــــةٍ حـــــائرةٍ

وفـــراش بـــارد .. لـــم يـــنمِ

ومواعيـــدُ رجـــال .. هزئـــت

ضــــللت بالمخــــدع المنهـــزم

*   *

وتلــــوّت .. آه مـــا أرّقهـــا

غيـــرُ تهويمـــة طيـــف هَـــرِمِ

كلمـــا لاح لعينيهـــا ارتمـــت

مـــن رؤاهُ .. فـــى فـــراغ مظلـــمِ

وجـــهُ شـــمطاء .. رأتهـــا مـــرة

يـــوم كانـــت فـــى طريـــق الهـــرمِ

تســـأل النـــاس ، وتســـتجدى الخطـــى

كلمـــات مـــن فـــمٍ .. منهـــدمِ

أرعشـــتها .. فانحنـــت مشـــفقة

"إيـــه يـــا خالـــةُ .. لا تستســـلمى"

ورمـــت فـــى كفهـــا مـــا جمعـــتْ

مـــن طريـــق .. وثنـــىّ القمـــمِ

يومهـــا .. رن دعـــاء .. دفئـــهُ

لـــم يـــزل فـــى صـــدرها المحتـــدمِ

"اذهبـــى .. لا ضـــمك الشـــيب ولا

عشـــت يومـــاً .. لحظـــات الســـقمِ!"

* *

أشـــعلت مصـــباحها .. واعتـــدلتْ

"أىُ شـــئٍ عـــاش لـــم ينهمـــزمِ"

دقـــةُ الســـاعة تهـــوى بيـــدِ

مـــن حديـــد .. فـــوق رأس مفعـــمِ

وعـــواء الـــريح لحـــن نـــازف

ودمـــوع ســـاخنات ترتمـــى ..

وأتـــت مرآتهـــا .. فارتســـمت

كـــلُ أبعـــاد الجبـــين المعـــتمِ

الأخاديـــــدُ التـــــى فـــــى أرضـــــه

خطـــــوات الـــــزمن المنـــــتقمِ

وشـــــفاه أجـــــدبت حمرتهـــــا

آه .. مـــــا أقســـــى جفـــــاف البـــــرعمِ

وارتخـــــى الصـــــدر .. فمـــــا عـــــاد لـــــه

كبريـــــاءُ القـــــدر المحـــــتكمِ

ومشت فـــــى مفـــــرق الـــــرأس .. خُطـــــى

شـــــعراتٍ .. صـــــرخت بالســـــأمِ

وبـــــدا الوجـــــه الـــــذى تعرفـــــه

قطعـــــةً مـــــن ذكريـــــات الهـــــرمِ

يتحـــــدّى صـــــمتها .. يجلـــــدها

يعصـــــر القلـــــب بكفّـــــىْ مجـــــرمِ !

*   *

أمســـــكت أدمعهـــــا ، واتكفـــــأت

تتلقـــــىّ صـــــفعات الألـــــمِ

هازئـــــاتٍ بســـــتار أســـــدلت

لـــــم يصـــــفقْ أحـــــد .. لـــــم يـــــرحمِ !

ومكـــــان رجعـــــت جدرانـــــه

قصــــة الليــــل .. وروع الكَلِـــم

الثعـــــابين لعـــــاب ســـــائل

وأغـــانى النـــار فـــى كـــل فـــمِ

وعلـــى الأعـــين شـــوق جـــائع

كـــم رَجَـــتْ كفـــاه عطـــف القـــدم

كـــل شـــئ راح .. إلا طعنــــة

مُلئــــت بـــالملح .. لـــم تلتـــئم

*   *

ومشـــى الفجـــر إلـــى غرفتهـــا

فعـــدت تصـــرخ : "لا .. لا تقـــدمِ"

ومضـــت تصـــلح مـــن زينتهـــا

فـــى جنـــونٍ همجـــىّ مـــؤلمِ

غيـــر أن الضـــوء أعشـــى عينهـــا

وارتمـــى فـــى المخـــدع المنهـــزم ..

أصل وصورة

الليـــلُ .. والشـــتاءُ .. والســـيجارةُ المحترقـــة
ولـــم تـــزل غرفتـــه .. علـــى الرمـــاد .. مغلقـــه
تنـــاثرت فـــى أرضـــها الكتيبـــات مطرقـــه
وألـــف صـــورة علـــى جـــدرانها معلّقـــة
ترشـــقه عيونهـــا الســـاحرةُ المحدّقـــة
تشـــدّه صـــدورُها العاريـــةُ المنطلقـــة
يكـــاد همـــسُ دفئهـــا العميـــق .. أن يخترقـــة
وهوّمـــت عينـــاه .. لعنـــةُ الفـــراغ مطبقـــة
الصـــمت ، والجليـــد ، والوســـادة المؤرّقـــه
تفاهـــةُ الأشـــياء .. مـــا أقســـى الليـــالى الضـــيقة !

*   *

وفـــتح الشـــباك .. مـــدّ خـــاطراً ، وأطلقَـــهُ ..
مـــاذا عـــن الجـــارة .. يـــا ليـــل الـــرؤى المشـــوّقه
حالمـــة . أم يـــا تـــرى علـــى الســـرير مرهقـــة
عاريـــة .. أم فـــى قميصـــها تنـــام شـــيقه
قوامهـــا .. إيـــاك يـــا غطـــاءُ أن تطوّقـــه

ملمســــــها .. وجـــــرّدت عينـــــاهُ كــــل منطقـــــه
تعـــرّج الفضـــاءُ .. صـــاح فـــى الســـكون .. أنطقَـــهْ
وأنّ مـــــذياع بعيـــد .. صـــوته مـــا أعمقـــه !
رمـــى علـــى الشُـــبَّاك أشـــلاء الصـــدى .. فأغلقـــه

* *

مـــع الصـــباح ، قـــابلوه .. بـــادلوه منطقَـــهْ
وانحـــدر الحـــديثُ للنســـاء ، فـــادّعى الثقـــهْ
وحـــاول الكـــلام .. فـــالتوى الكـــلام : مشـــنقه
وســـمع الرفـــاقُ بَـــوْحَ زفـــرةِ .. مختنقـــه
تهدّلت ..
وارتعشت ..
ثـــم ارتمـــت ممزّقـــهْ !

الجــزاء

فـــى زمـــان .. مـــن حيـــاةِ نزقَـــهْ
كـــان لا يعـــرف معنـــى الشـــفقة
وهـــواه .. صـــبوة منطلقـــه
تتحـــدّى الكـــون .. تنـــداح ثقـــه

*　　*

ثـــم فـــى ذات صـــباح .. طـــربِ
ســـار فـــوق الشـــاطئ المنســـرب
وبجنبيـــه أحاســـيسُ صـــبى !!
يرمـــق النهـــر بعـــين الغَلَـــب
ثـــم يرنـــو لحقـــول الـــذهب
شـــارداً .. فـــى موجـــة مـــن ســـحب
كيـــف يقضـــى يومـــه فـــى اللعـــب ؟
كيـــف يقضـــى يومـــه فـــى اللعـــب ؟

*　　*

وعلـــى الأفـــق .. تـــراءت قبّـــرَهْ
تلقـــط الحـــبَّ ، وتخطـــو حَـــذِره
فتـــروّى .. ثـــم ألقـــى حجـــره

ضـــــــربةً .. صــــــــائبةً .. مســــــــتعره
.. حفـــــرت فــــى الأرض أقســـــى مقبـــــره
بعثـــــرت أيـــــام حــــــبّ نَضِـــــره !
يتمـــــت فــــرخين فــــوق الشــــجره !

* *

دارت الأيـــــــام ، واللهـــــــو مضـــــــى
لــــم تعـــد منــــه بقايـــــا .. انقرضــــا
ثـــم فــــى ذات مســـــاءٍ .. أومضــــا
هـــــزّه الحـــــبّ بـــــلألاء القضــــا
يومهــــا غنــــى نشـــــيداً أبيضــــا
أرســــلته الــــروح مـــن فـــيض الرضــا
وحنـــا الأفـــقُ عليــــه ، وارتضــــى

* *

صــــارت الأحــــلام .. تـــدنوا .. طيّعــــة
وصــــفا العـــيش .. كؤوســــاً مترعـــه
فغـــدا القلـــب يــــرى "ليلـــى" معــــه
جنّـــةً .. مـــلء الفصـــول الأربعـــه
وصــــغيرين بيثــــان الدّعـــه !

طـــــرح الســـــحر عليهـــــا أفرعـــــه ..

*   *

دوّم الـــــــدهرُ .. بشـــــــئٍ مـــــــبهمٍ
وتلـــــوَت فيـــــه كيـــــفَ العـــــدمِ !!
ثـــــم جالـــــت فـــــى حشـــــاً منهـــــزم
عصـــــرته .. فتنـــــزّى .. بالـــــــدم
لحظـــــةً .. وانجـــــاب ســـــتر الظُلَـــــم
عـــــن صـــــغيرين .. بلـــــون الأنجـــــم
وأبٍ .. يقتـــــات نـــــار الألـــــم

*   *

ضـــــمّه الليـــــلُ .. فعـــــانى أرقَـــــهْ
وأتـــــى الصـــــبحُ .. فعـــــادى مشـــــرقه
هكـــــذا صـــــار .. حيـــــاةً مطرقـــــه !
تختفـــــى مـــــن نفســـــها المحترقـــــه
وتـــــرى فـــــى الكـــــون معنـــــى الشـــــفقه ..

رحلة شاعر

تحت جنح الظلام ، والـنجم سـارٍ   يتهـادى الشـعاع ومضـاتِهْ
والسكون العميـق يرقـد فـى الـدرب ، وتغفـو العيـون تحـت سـباته
ضـجَّ فـى بيتـه الصـغير أنـين   ظل يكوى القلـوب مـن زفراتـه
تـارة يمضـغ الهـدوء وأخـرى   يلفـظ الويـل صـارخاً بأسـاته
والأسـاة الضـعاف لازمهـا الصـمت ، وكـادت تـذوب فـى مأسـاته

*   *

ومع الفجـر .. أخلـدوا لصـياح   راح يعلـو متابعـاً صـرخاته
كان صوت الوليـد حـين تلاقـى   بـأكف تسـوقه لحياتـه
ووجـوه تبسـمت لبكـاه   وشـفاه تشـرّبت عبراتـه
وعجـوز أتـاه يخطـو وئيـداً   ثـم أغضـى مصـعّداً دعواتـه
قـال مـا قالـه ، وسـماه باسـم   عاش يطوى الحياة فـى قبضـاته

*   *

وعلى المهد .. كان أعـذبُ عمـر   ذاق شهد الحنـان مـن قطراتـه
حيث تهمـى عواطـف الأم حبـا   وتصـوغ الرجـاء حـول نباتـه
بـزراع تحوطـه بخشـوع   وذراع تقـوم فـى مرضـاته

مرّ هذا الزمان وانساب يجرى   جريان الغدير فى قنواته
وبكى الطفل ساعة .. ثم ولّى   يقطف الودّ من قلوب لداته

* *

فإلى الشط .. حيث ينتشر العشب ، ويحسو الفراش من نوّارهْ
ويقوم النخيل فى صفحة الأفق يباهى السماء .. فى مقداره
وصغار الطيور يلثمها الغصن ، فتزقوا هنيئة بجواره
فوق هذى الضفاف عانقت الطفلَ صغار تشوّقت لمزاره!
وتلاقت على البراءة والحب ، وأغضت عن الأسى وقفاره

* *

فى ابتسام الصباح .. ينطلق الجمع لنهر .. يتيه فى أغواره
هائج هائج يعيش به الموت ، ويحيا الفناء عند قراره
كم تنادى الأطفال من شاطئيه   وترامت جموعهم فى سعاره
إنما النيل .. كان يحنو عليهم   ويعوق الفناء عن إصراره
هكذا الطهر حين يخطر فى الأرض ، ويسقى الوجود فيض نهاره

* *

وإذا الليل فضّ عن برديته   وحوى الكونَ فى ظلام ستاره
طارت الصبية الصغار اشتياقاً   لعجوز .. ملفّح بدثاره

عاش .. يحكى الصغار "أسطورة الحــرب" ويــروى الكثيــر مــن أشــعاره

ليس يدرى الصبىّ .. والدهرُ ينسى　　من حكاياه .. غيــر قصــة جــاره

حين ناداه فــى الــدجى شــيطان　　كصديق .. فكــان ســرّ احتضــاره

*　　*

ومشــى العمــر بــالفتى خطــوات　　شب عزم الحيــاة فــى أعصــابه

وســرت فــى دمائــه نزعــات　　تتحدّى العبــاب عنــد اصــطخابه

وتردّ الهجيــر عــن دوحــة الــنفس ، وتلــوى الســحاب عــن تســكابه

هــو بالبــأس يبلــغ الأمــل النــائى ، ويرقــى إلــى لبــاب لبابــه

ويعــانى العــذاب .. لكــن بقلــب　　صامد الخطو .. فى ربيــع شــبابه

*　　*

إيه يا قلب .. مــا نســيت مســاءً　　رحــت فيــه تهــيم تحــت قبابــه

وأتــاك الجمــال يــومض بالســحر ، ويــروى لظــاك مــن أعنابــه

ناشــراً فــى ســماك أجنحــة الشــوق هيامــاً ، وشــاكيا لــك مــا بــه

قمت تحنو عليــه .. بــل تتلقــى　　نظــرات الحنــان مــن أهدابــه

وتناجيــه .. يــا لرقــة قلــب ! !　　كــان بــالأمس هازئــاً بعبابــه

*　　*

صار يمضى الغداة والكون ضــاح　　يتغنــــى لروضــــه ، ويبابــــه

ويبـث الطيـور حـرّ هـواه فتسـوق اللحـون عـن غلاّبـه
وإذا الحـب ضـمه فـى لقـاء ظهر الوجد فى ارتعـاش خطابـه
واحتـواه الحيـاء فـى كرمـة الطهـر ، وسـال العفـاف مـن أكوابـه
لحظـات .. تـألم الـدهر منهـا فطواهـا الخئـون فـى أحقابـه

* *

يا لـه اليـوم ، والـدموع غـزار فـوق خديـه ، والأسـى بخناقـه
يتلـوى علـى فـراش مـن السـهد ، ويمشـى الـذبول فـى أوراقـه
شـاعراً .. غلـف الظـلام أغانيـه ، ودوّى القنـوط مـن آفاقـه
وتهـاوت علـى نهـار أمانيـه ظـلال تكاثفـت .. لاختناقـه
وكـذا الـنجم تحتويـه الـدياجى فيـذوب الضـياء مـن أحداقـه

* *

أىّ عيشٍ .. يروق من غير حـب وسـنين تمـر دون مذاقـه
أىّ قلب .. تمـوت فيـه الأمـانى ثم يحيـا علـى رمـاد احتراقـه
أىّ صـدر يضـيق بالليـل إن جـنّ ، ويـأبى الصـباح فـى إشـراقه
خلجـات تـدافعت بـين جنبيـه ، وراحـت تثـور مـن أعماقـه
كلمـا أطلـق الرجـاء ترامـت فى مـداه ، وعربـدت بانطلاقـه

ومــع الفجــر .. ســار ينتــزع الخطــو ، ومــاء الــوداع فــى آماقــه

تاركــاً خلفــه الربــوع اللــواتى عاش فيها ، وشب عــن أطواقــه

دوحة التوت .. أمسكت عن غناها حــين ولّــى ، وأطرقــت لفراقــه

والسواقى .. تمزقت مــن حشــاها حســرات علــى صــدى أشــواقه

كــل شــئ رآه حــنّ إليــه وتمنّــى لــو انتشــى بعناقــه

* *

كــان هــذا الــوداع آخــر عهــد أسبل القلــب فــى حمــاه جفونَــهْ

ومضى الشاعر الغريب مع الليــل مســوقاً إلــى حيــاة المدينــة

حيــث تمتــد شــاهقات المبــانى وتــدوّى صــدورها المشــحونة

المصــابيح تفــرش الليــل نــوراً يتهاوى الظلام والصمت .. دونــه

وتســير الجمــوع مزدحمــات فى ضــجيج مــروّع .. يألفونــه

* *

لست أدرى .. أفى المظاهر نسـمو ووراء الصــدى نحــت الســفينة

ونــدق الطبــول إن زحــف الليــل لنحيــا حياتنــا .. المجنونــة ..

ونســيغ النفــاق إن مــلأ الســمع رنينــاً ، ومــا أرق رنينــه !!

ســاحر يســجد الفــؤاد لديــه حين يسرى ويطرح المــرء دينــه

هكـــذا فكـــر المعـــذَّبُ فـــى النـــاس ، ولـــم يـــدر أنهـــم يصـــبغونه

*   *

إيـــه يـــا قلـــب .. وانطلقـــت مـــع الجمـــع تغنـــى غنـــاءه ، ولحونـــه ..

مـــن شـــفاه جريحـــة تتنـــزى   فتصـــوغ العواطـــف المســـجونة

كلماتٍ .. تثير فى البعض "شـــيئاً"   ويرى الـــبعض أنهـــا "موزونـــة"

عتاب الأمومة الضائعة

إذا مـــا ضـــمك الغسَـــقُ وأظلـــم حولـــك الأفـــقُ
ورحـــــت تعـــانق الأحـــــلام فاستشـــــرى بـــــك الأرق
وقمـــت تـــداعب الـــذكرى فهـــز ضـــميرك القلـــق
وأطـــرق بـــين جنبيـــك الهـــوى ، واســـتغفر النـــزق
فـــأهرقْ دمعـــة حـــرّى علـــى طفـــل بـــلا اســـمِ
يســـاءل أمّـــه الحيـــرى ومـــن أبتـــاه .. يـــا أمّـــى؟

*　*

وهل يدرى جـــوابَ الطفـــل غيرُك أنت أو غيـــرى ؟!
كلانـــا يحمـــل الماضـــى وما يطوى من الســـرّ ..
ســـوى أنـــى أعـــيش بـــه وكل رؤاه فـــى صـــدرى
وأنـــت طويتـــه ، ومضـــيت لا تلـــوى علـــى أمـــر ..
كأنـــك غنـــوة ســـكرى ســـرت فـــى غفـــوة الحلـــم
وذابـــت مـــرة أخـــرى علـــى قيثـــارة الـــوهم

*　*

أجـــل ذابـــت ، ولكـــن الصـــدى مـــازال يحكيهـــا
ويزجـــى لحنهـــا للـــنفس إن زحفـــت دياجيهـــا
فتمضـــى عنـــه مطرقـــة وفيهـــا منـــه مافيهـــا
أســـىً يمـــتصّ فرحتهـــا وإعصـــارٌ يردّيهـــا
كـــذلك أعـــرف الـــذكرى شـــراباً قاتـــل الســـمّ
ولـــيلاً يكـــتم الفجـــرا ويخنـــق بســـمة الـــنجم
وأنـــت .. أمـــا تحـــسّ النـــار إن فكـــرت فـــى الأمـــسِ
ورحـــت تعيـــد تلـــك الصـــفحة الســـوداء للـــنفس
وتقـــرأ بعـــض مـــا فيهـــا بهمـــسٍ أو بـــلا همـــس
أمـــا تهتـــزَ لـــى .. كـــلا فإنـــك ميّـــت الحـــسَ
ذبحـــت بقلبـــىَ الطهـــرا علـــى أنشـــودة الإثـــم
وصغت الجـــرح لا يبـــرا مـــن الأشـــجان والهّـــم
* *
ولكنـــى بـــرغم الخنجـــر المرشـــوق .. أهواكـــا
وانتظـــر الغـــد المـــأمول علّـــى فيـــه ألقاكـــا
لأقطـــف زهـــرة الـــدنيا فقـــد أشـــبعت أشـــواكا

ليـــــنعم طفلنــــــا بالحــــــب فـــــى روضــــــى ، ومغناكــــــا

هنالـــك يعـــرف الســـرّا ويـــــدرك نعمـــــة الاســــمِ

ويشـــــعر أن والـــــده رحـــــيم رحمـــــــة الأمّ

الخادمة .. والحب

مصـــباح ســـيدتى خبـــا وضـــجيج غرفتهـــا .. تكـــوّمْ
والـــنجم أضـــناه السّـــرى فطـــوى رغائبـــه وأحجـــم
وأنـــا .. وراء البـــاب .. أكـــتم لهفتـــى وأظـــل أكـــتم
موصـــولة الخفقـــان .. أحكـــى ســـاعة عاشـــت تتمـــتم
إطراقتـــى .. صـــلوات حـــب .. مـــذنب الأشـــواق .. أبكـــم
وحكـــايتى .. غصـــن مـــن الزيتـــون نـــوّر فيـــه بـــرعم
وعليـــه عصـــفور .. ترنمـــت الطيـــور ومـــا تـــرنّم
إن طَـــار مـــات ، وإن ثـــوى ظمِـــأ .. تحطـــم

*   *

أعرفتـــه ؟؟ كـــم طـــار فـــى أحلامـــه ، وأتـــاك ســـراً !
وحنـــا عليـــك حنـــوّ مرضـــعة تـــرشّ المهـــد عطـــرا
.. كم كـــان يأســـى حـــين تطلـــب منـــه كـــوب الشـــاى مـــرّا
ويـــود لـــو تحلـــو لـــه يومـــاً فتطلـــب منـــه خمـــراً
ليصـــبّها لـــك مـــن هـــوى ثـــر وعنقـــود تعـــرّى
كـــم ذاب هـــذا الطـــائر فـــى دنيـــاك فكـــرا
وأقـــام مـــن أوهامـــه الحمقـــاء فـــوق المـــاء قصـــرا
عصـــفت بـــه الأمـــواج حـــين طغـــت .. فمـــا أبقـــت ممـــرّا

*   *

وتغـــار ســــيدى .. فتنســـج حـــول عينيـــك الظنونـــا
وتثـــور فيـــك .. لأنهـــا لمحتـــك تـــأمره .. حنونـــاً !
وتظـــل أنـــت علـــى حنانـــك ســـيداً شـــهماً رزينـــا
تلقـــى لـــه بالبســـمة النشـــوى ، فتنتـــه فتونـــا
ويكـــاد مـــن لَهَـــفٍ يعـــانق فـــى وداعتـــك السـكونا
وإذا رآك مقطبـــاً – يومـــاً – تقوقـــع مســـتكيناً
وعـــلا محيـــاه الشـــحوب ، وظـــل منطفئـــاً حزينـــا
فـــإذا ابتســـمت اخضوضـــرت أعماقـــه الجـــدبى حنينـــا

* *

يـــا هـــل تـــراك عرفتـــه ؟؟ مـــازال خلـــف البـــاب يحلـــمْ
متلهـــف الأشـــواق يحـــبس مـــن عواطفـــه ويكـــتم
وتســـير أنـــت .. فـــلا تحـــسّ النـــار فـــى جنبيـــه تطعـــم
ويـــداً مـــن الحرمـــان تهـــدم قلبـــه ، وتظـــل تهـــدم
وجناحـــه .. ياللبيـــاض الغـــضّ ، والـــريش المنمـــنم !!
يبكـــى إذا لمـــح الطيـــور علـــى مرابعهـــا تحـــوّم
وهـــو المقيـــد فـــوق غصـــن فـــاض أوراقـــاً وبَـــرعمْ
إن طـــار مـــات ، وإن ثـــوى ظمـــأ .. تحطـــمّ

نهاية عش

ومـــع المســـاء نظـــرت مـــن شـــباك غرفتنـــا الحبيبـــة
تلـــك التـــى شـــهدت ضـــراعاتى وأدمعـــى الرطيبـــة
ولمحـــت مـــن خلـــف الســـتائر فـــى الطريـــق خطـــىً غريبـــه
تجتـــاز درب الـــذكريات تـــدق دقـــات رهيبـــه !

* *

وشـــردت عائـــدة ، إلـــى مـــا كـــان منـــا فـــى الصـــباحْ
حـــين استشـــاط عنادنـــا غضـــبا ، وأثخننـــا جـــراح
وطغـــت وساوســـنا علـــى أحلامنـــا ، وعـــلا الصـــياح
مـــاذا جـــرى للعـــش ينفجـــر انفجـــاراً ، وينثـــر فـــى الريـــاح

* *

وجلســـت فـــى خـــدرى أراقـــب ســـاعة فـــوق الجـــدارْ
ظلـــت تثيـــر بخفقهـــا الموصـــول مـــن عقلـــى الـــدوار
ويخـــف عقربهـــا فـــأنهض ثـــم يـــوهننى المـــدار
.. حيـــرى تنـــازعنى الظنـــون ، ومـــا خبـــت شـــمس النهـــار

* *

ونـــذرت ..إن تبعـــت خطـــاه حنانـــه ، وأزاح ليلَـــه
وأتـــى إلـــى بـــابى يـــدق ، وضـــم هـــذا البيـــتُ ظلّـــه

أن أحتويـــــه بكـــــل أحضــــانى المفرّغـــــة المطلّـــــه
وأقـــول عفـــواً يـــا حبيبـــى ثـــم أطبـــع ألـــف قبلـــه

* *

لكنـــه .. مـــا عـــاد لـــى حتـــى نســير كمـــا بـــدأنا ...
زوجـــان يقتســـمان تحـــت ظـــلال ذاك الـــدوح غصـــنا
أو ينشـــدان مـــع الصـــبابة فـــوق عـــود الحـــب لحنـــا
بـــل جـــاء منقـــبض الجبـــين .. يكـــاد يهـــدم مـــا بنينـــا

* *

وتأمّلـــــت عينـــــاى شــــيخاً .. راح يفـــــتح دفتــــــره
ويُســـرّ فـــى ســـمعى حـــديثاً كـــان يحـــذق مظهـــره
"الصـــلح خيـــرٌ "
ثـــم أغضـــى .. لحظـــةً .. متحجّـــرة
ألفيـــت زوجـــى بعـــدها يلقـــى بروحـــى خنجـــره !!

* *

وكـــذلك ابتلعـــت ديـــاجى الكـــون أضـــواء الشـــموع
وتنـــاثر الإكليـــل مـــن شـــعرى .. تنـــاثر فـــى الربـــوع
والخـــاتم الـــذهبى .. أطفـــأه انســـكابات الـــدموع
وهـــواى .. أذبلـــه النـــوى .. فتســـاقطت منـــه الفـــروع

* *

واليـــومَ .. إنـــى اليـــوم أبحـــث عـــن صـــبا قلبـــى النـــدىّْ
فـــأراه تحـــت رمـــاد أحلامـــى ، وفرحـــة مقلتـــىّ
وعلـــى جـــدارى .. فـــوق صـــورته التـــى صـــارت إلـــىّ ..
وحفظتهـــا منـــه : بقيّـــة فـــارس شـــهم أبـــىّ !!

*　*

مازلـــت أذكـــره ، وأذكـــر كـــل مـــا طـــوت الحقـــائقْ
مـــن أمنيـــات الحـــب والتحنـــان والأمـــل المعـــانقْ
وأقول : قد يـــأتى ..
ولكـــنّ الأســـى جـــمّ الشـــواهقْ
تحيـــا علـــى جنباتـــه الـــذكرى ، وتهتـــف : أنـــتِ طـــالقْ

مقهانا فى الشتاء

بـــالرغم مـــن بـــرودة المســـاء فـــى شـــتاء مصـــرْ
فـــإن مقهانـــا يظـــل فـــى طلاقـــة وبشـــر
يســـتقبل الـــذين يضـــحكون مـــن وراء ســـتر
وفـــى صـــدورهم – علـــى الأســـى – ينـــام ألـــفُ ســـر

*   *

أصـــحابنا .. يثرثـــرون دائمـــاً عـــن النســـاء
عـــن غـــادة تبيـــع "يـــا نصـــيب" .. كلهـــا اشـــتهاء
عيونهـــا فـــراش رغبـــة ، وشـــعرها مســـاء ..
يامـــا اشـــتروا "تصـــيبها" وبعثـــروه فـــى الهـــواء!

*   *

وحولنـــا .. يرجّـــع الشـــيوخ – خيبـــة الأمـــل
أقصوصـــة تعـــاد كـــل ليلـــة علـــى مهـــل !
وربمـــا تآكلـــت حروفهـــا مـــن الملـــل ..
ولـــم تحـــاول العيـــون أن تضـــئ مـــا أفـــل !

*   *

ســـحائب الـــدخان تمـــلأ المكـــان بالضـــباب
وتحـــت مقعـــدى يمـــدّ كفّـــه علـــى التـــراب

فتـــــىً .. جبينــــــه انطفـــــاءة ، وصــــــدره اغتــــــراب
يلــــــتقط الســــــجائر الملقـــــاة فـــــى أســــــىً مـــــذاب

*   *

وكلمــــــا مضـــــى المســـــاء غـــــاب ماســــح الحــــذاء
للحظـــــةِ .. وعـــــاد فـــــى عينيْـــــه : نظـــــرةُ انتشـــــاء
وتحــــــت ضرســــــه خبيئـــــة تـــــلاك فـــــى الخفـــــاء
دبيبهـــــا يخَـــــدّر الأعضـــــاء .. يصـــــهر الـــــدماء

*   *

ورغـــــم هـــــذه المواقـــــف التـــــى تلـــــوحُ لـــــى ..
فـــــإننى أســـــير .. دونمـــــا يثـــــور مرجلـــــى
لأن لفحـــــةً تهـــــب فـــــى فـــــراغ هيكلـــــى
تفتـــــات كـــــل ومضـــــة .. تـــــذيب كـــــل مشـــــعل

اللعب بالقوافى

فى أمان من عيون القَتَلَةْ
حدثتنى جدتى المكتهلةْ
بكلام لا تراعى جُمَلَه
آه .. لو أُدركُ يوماً مَحْمَلَه !
آه .. لو أدرك يوماً مَحْمَلَه !

* *

"ذات عام من سنين مُثْقَلَةْ
قام فرعون أمام المقصله
ثم نادى وعيون الناس لَهْ
: اهتفوا اليوم لعام السنبله
وارقبوا خصب الحياة المقبله
سوف يلقى كلُّ حىّ أمله
سوف يلقى كلُّ حىّ أمله

* *

صفق الجوعى جفوناً مسبَلَةْ
وترامواْ فى طريق العَجَلَه

يلثمـــون الأرض مـــن فـــيض الولَـــة

ويغنـــــون لعـــــام الســـــنبله

بشـــــفاهِ جذبـــــةِ مبتَهِلـــــه

*   *

ظـــلّ فرعـــون يـــدارى المهزلـــه

عـــن صـــدورٍ بالأمـــانى ثملـــه !

ثـــم لمّـــا مـــزّق الجـــوعُ البلـــه

وأذاب الحـــزنُ غـــيم البلبلـــه

أدرك الجـــوعى خـــداعَ القتلـــه

فتنـــادوا صـــيحةً مرتجلـــه ..

"إيـــه .. يـــا عزتنـــا المشـــتعله !!"

"كيـــف نمحـــو البصـــمات المخجلـــه ؟!"

"كيـــف نمحـــو البصـــمات المخجلـــه؟!"

*   *

غيـــر أن الثـــأر ألقـــى معولـــه

وتهـــاوى نظـــرةً منهدلـــه

عنـــدما شـــاهد حـــول المقصـــله

ألـــف كـــفٍ تحكـــم العقـــدة لـــه !

*   *

رجـــــع الجـــــوعى .. جفونـــــــاً مثقلـــــــه

وشـــــــــفاهاً جدبــــــــــةً مفتعلــــــــــه

تتغنّـــــــــــى للحيــــــــاة المقبلـــــــــه !

بعـــــــدما غنّـــــــت لعـــــــام الســـــــنبله !"

*   *

تلـــــــك دنيــــــا جـــــــدّتى المكتهلـــــــه

ذكريــــــــــات .. وأحـــــــاجٍ مهملـــــــــه

وكـــــــــلام لا تراعـــــــــى جملــــــــه ..

..

آه .. لـــــــــو أدرك يومـــــــــاً محملـــــــه !

آه .. لـــــــــو أدرك يومـــــــــاً محملـــــــه !

الأرض

بقـــوة الموجـــةِ ، واندفاعـــة الشـــراغ
بخفقـــة العـــروق ، مـــلء الســـاق والـــذراغ

* *

بكـــل مـــا أودّ أن أقولـــه .. وأســـتحى
لأنـــه يُصـــان دائمـــاً بقـــاع القـــدحِ !

* *

حملتُ جـوعىَ الطويـلَ ، حـاجتى إلـى الشـرابْ
وجئـــت .. يســـتثيرنى إليـــكِ طـــائر الشـــبابْ

* *

أمنيتـــى .. أُقبـــل الرخـــامَ .. ألمـــسُ القمـــمْ
أدفـــنُ فـــى ترابـــك النـــدىّ .. ماسَـــةَ الألـــمْ !

* *

سيدتى .. القيـد فـى اليـدين ، والهـوى هـوانْ !
لكننـــى أظـــل مـــن رؤاك فـــى افتتـــانْ

* *

يبهرُنـــــى صـــــباحك الغنـــــىُّ ، والمســـــاءْ
منســــــدلاً علــــــىّ ، والربيــــــعُ ، والعـــــراءْ ..

*   *

وكـــلُّ مـــا ينــامِ فـــى الجفـــون مِـــن فتـــورْ
والهفـــى ! أدفـــن فـــى حمـــاهُ قلبـــىَ الصـــغيرْ

*   *

كأنمـــا خلقـــتِ لـــى : مقبـــرةً ومَهْـــدْ !
أزهـــدُ فيـــكِ .. ثـــم أســـتجديكِ بعـــد زهـــدْ

أولى كلمات الحب

أيهـــا التـــاجُ علــــى مَفْرِقهـــا
مـــن تُـــرىَ يملـــك قلـــب الملكـــةْ ؟
إنهـــا تخطـــــر لا تعرفنــــــا
نحـــن مـــن نمـــلأ أرض المملكَـــةْ ؟

* *

قُــل لهـــا يـــا تـــاجُ :مـــاذا لـــو رنـــتْ
مـــن ســـماها للعيـــون المُعْجَبَـــه !
ربمــــا باحـــت لهــــا واحـــدةٌ
بالـــذى فـــى نفســـها المضـــطربةْ

* *

قـــد تـــراهُ عاصـــفاً ملتهبـــاً
غيـــر أن الحـــب فـــى مرجلِـــهِ
ظـــامئ للمـــاء .. يحيـــا أمـــلا
كلمـــا لاحـــت روي منهلِـــهِ

* *

آه لـــو تصـــدقُ أطيـــاف المنـــى
ويـــدق الـــدارَ إنســـانٌ غريـــبْ

عمـــره بعـــض نجيمـــات ، وفـــى
صـــدره الخفَّـــاق أشـــواق حبيـــبْ

* *

لا تقـــولى :" ذلـــك الشـــعر كـــلامْ
كـــلُّ مـــا فيـــه رنـــين النغمـــاتْ !"
إنـــه روحـــى ، وقلبـــى ، ودمـــى
مسَّـــت النـــار ، فصـــارت كلمـــاتْ

* *

اســـمعيها أحرفـــاً لاهثـــة
تتلـــوّى بـــين يـــأس وأنـــينْ
شـــهقات تـــزحم الليـــل جـــوىً
أغنيـــات بعـــض مـــا فيهـــا حـــزينْ

* *

ســـوف تغـــدو كلهـــا راقصـــةً
يـــوم تحنـــو نظـــرات الملِكَـــهْ
إنهـــا تخطـــر لا تعرفنـــا
نحـــن مـــن نمـــلأ أرض المملكَـــة !

الخطـــأ

تنبئنـــــــى عينــــــاكِ أنّ الـــــذى
نصـــــنعه مهزلـــــةٌ محرقـِـــــة
وأن مـــــا فـــــى عمرنـــــا رائـــــعٌ
لا تلبـــــثُ الأيـــــامُ أن تســـــحقَهْ
وأننـــــا نخطـــــو إلـــــى قمـــــةٍ
بـــــاردة كـــــالموت .. مُسْـــــتَغْلَقَهْ

*   *

مســـــكينةٌ ألفاظُنـــــا .. ترتمـــــى
عاريـــــةً .. جائعـــــةً .. مرهَقَـــــهْ
فـــــى كـــــل لفـــــظ كذبـــــةٌ أفســـــدت
إيقاعـــــه ، ورغبـــــةٌ مُطرقَـــــهْ

*   *

حتـــــى الـــــذى كنـــــا نظـــــن المنـــــى
فيـــــهِ .. تلاشـــــى ســـــحرهُ وانطفـــــأ
لمـــــا وصـــــلناهُ وصـــــلنا وقـــــد
أدركـــــت الأشـــــواقُ هـــــذا الخطـــــأ

اذكريني

اذكريني .. كلما طافت على الدرب سحابَهْ
اذكريني .. كلما أنَّت مع الليل ربابَهْ

* *

اذكريني .. كلما شاهدتِ في البحر شراعا
اذكريني .. كلما لوّحت الشمسُ : وداعا

* *

اذكرى .. هذا الصدى الخافت ، والوجه النحيلْ
اذكرى .. هذا البريق الحر ، والصمت النبيلْ

* *

لم يكن شعرى سوى فيض أحاسيس وحبى
فاذكرى أروع ما قالته عيناك لقلبى ..

* *

أنت .. يا من بدأ العمر بتاريخ لقاها
اذكرى أول حرف ، مزّق الصمت ، وفاها ..

* *

كان سراً فى ضمير الغيب ، مسجوناً بوجدِهْ

فـــاذكرى يـــوم تلاقينـــا علـــى تحطـــيم قيْـــدِهْ

*   *

واقتربنـــا .. ظمـــأ الغربـــة فـــى أعيننـــا

فـــاذكرى كيـــف جـــرى النبـــع رجـــاءً ، ومَتَـــى

*   *

أن يسير الموج هوناً : لـيس فـى قـدرةِ زَورقْ

فـــاذكرى أن هوانـــا جـــاء .. والمينـــاءُ مغلـــقْ !

*   *

لا تقـــولى : "قَـــدَرٌ كـــان .. ومـــا كـــان نصـــيبْ"

نحن لو شئنا مســكناً الشــمس ، أخَّرنـــا المغيـــبْ

*   *

أنا لم أطرق ســوى بابــك .. لــم أطــرق ســواهْ

فـــاذكرى أنـــك دون القلـــب أغلقـــتِ الحيـــاهْ

*   *

نحن فى أى زمـــان ، كـــى تكـــونى لابـــن عمّـــكْ

أىّ قربى .. تخنق البسمة فـــى حُلمـــى ، وحلْمِـــكْ

*   *

ســـوف يـــأتون إلـــى عرســـك .. أفواجـــاً عديـــدهْ

ثم يمضـــون كمـــا جـــاءوا .. وتبقـــين وحيـــدَهْ !

*   *

أنت يا من أشعل الروح - لكى ترضـــى - شـــموعاً
ســـوف يمشـــى ليلـــك البـــارد صـــمتاً ، ودموعـــاً

* *

و" غداً " يأتى .. وما أســـرع مـــا يـــأتى "غَـــدا "!
يطفئ الخضـــرةَ فـــى عينيـــك .. يُـــذوى الجســـدا

* *

يومها .. حـــين يـــراك النـــاس ذكـــرى ياســـمينِ
لن يرى حسنَكِ غيرى"

فاذكرينى ..

اذكرينى !

بكائية

الليالى مليئة بالأمانى
فلم الصبحُ قاتم الألوانِ ؟
وعلام الطيور مكتئبات
واصفرار الذبول فى الأغصان ؟
سكت الروض فجأة ، وتلوّت
صرخة الموت فى زوايا المكان
فإذا الشمس جثة تسكنُ الأرض ، ويعلو من فوقها شاهدان
وأفقنا من الوداع لنلقى
عبثاً ما يحيط بالإنسان
من شقاء ، ولذة ، وكفاح
وهموم ، ورغبة ، وأمانى

* *

يصدق الموت دائماً ، فلماذا
يكذب المرءُ نفسه بالأمان
كل يوم يمرّ فضلٌ من الموت ، وبعض العطاء من سجّان

حـــاكم .. دائـــنُ جميـــع البرايـــا

قـــاطع ســـاحق بغيـــر حنـــان

وكـــأنّى بوقفـــة النســـر منـــه

فـــى الـــذرى مشـــرفاً علـــى الميـــدان

أىّ عـــين تـــرى .. وأىّ ارتقـــاب

يتملّـــــى مطـــــالع الشـــــجعان

فـــإذا مـــا هـــوى .. هـــوى بانـــدفاع

يتخطـــــى تخـــــيلات الجبـــــان

وكثيـــراً مـــا يتـــرك المـــرء ، حتـــى

يتناســـاه فـــى صـــراع الزمـــان

فـــى بلـــوغ المـــراد بعـــد احتـــراق

فـــى امـــتلاك الأشـــياء مـــن حرمـــان

فـــإذا مـــا اســـتراح ، أو كـــاد يـــروى

ظمـــأ العمـــر بعـــد طـــول التفـــانى

أقبـــل المـــوت .. ألـــف ألـــف طريـــق

لخطـــاهُ .. وألـــف ألـــف حصـــان !

*   *

قيل : إن الحياة والموت صنوان ، فهـلا تسـاويا فـى الرهـان
لـيس بالعـدل أن نسـوّى عُقابـاً
بعصـافير غضّـة الخفقـان
إنمـا المـوت كاسـر يتسـلى
بفـراق الأحبـاب والخِـلان
يتلقـى آلامنـا بابتسـام
ويلاقـى عـذابنا بافتتـان
يعشـق الـدمع فـى عيـون الضـحايا
يكسـر النـاى مـن يـد الفنـان

*   *

لا تلمنـى إذا تجـاوز قـولى
منطقـى اللفـظ ، أو أليـف المعـانى
إن للمـوت رهبـة تبهـر العقـل وتعشـى بضـوءها العينـان
غيـر أنـى أراهُ أصـدق حكـم
لبـرئ ، ورادع لمُـدان
فـى تلافيفـه تـذوب الصـبابات هبـاءً .. وتسـتقر الأمـانى
وعلـى كفـه تنـام المآسـى
ويـداوى لظاهمـا الخصـمان

وبأحضـــــانه تصــــير ســـــواءً

خفقـــــات الحـــــزين والجـــــذلان

*   *

أيهـــا الراحلـــون للمـــوت قبلـــى

صـــارحوهُ .. فلـــيس فـــى إمكـــانى

إننـــى هـــا هنـــا أعـــانى حيـــاتى

إننـــى هـــا هنـــا أعـــانى .. أعـــانى

فـــالوداعَ الـــوداعَ .. بـــل لســـت أدرى

اللقـــاء اللقـــاء .. بعـــد ثـــوان !

أحضان البحر

فـــتح البحـــرُ صـــدرهَ ذات يـــوم

لهوانـــا .. وكـــان بالشـــط زورقْ

انـــدفعنا لحضـــنه .. دون وعـــيٍ

لهفـــة ترتمـــى ، وقلـــب يصـــفّقْ

وانطلقنـــا مـــع النســـيم نغنّـــى

وعلـــى الأفـــق ألـــفُ طيـــر يحلـــقْ

*   *

وإذا المـــوج قـــد رمانـــا بعيـــداً

وإذا الرعـــد فـــى الغمامـــات يبـــرقْ

أى قـــاع يشـــدنا حـــين نعلـــو

أى ليـــل يلفنـــا ، حـــين يطبـــق

مـــات فـــى قلبنـــا الرجـــاء اختناقـــاً

كل ما فى المنـــى .. هـــوى ، وتمـــزق

*   *

وعلـــى هـــدأة مـــن المـــوج ، رحنـــا

نرقـــب الشـــاطئ البعيـــد ، ونفهـــق

كـــان ضـــوء البيـــوت يبـــدو نحـــيلاً

وغنـــاء الحانـــات ينســـاب مرهـــق

ســـكنت حولنـــا الريـــاح ، فقلنـــا

قـــد نجونـــا – ونحـــن بالقـــاع نغـــرق

*   *

ضـــمة البحـــر لـــيس منهـــا العتـــاق

لا .. وليس الذى علـــى الشـــط زورق !

إسكندرية

إســـكندريةُ .. مـــاذا فـــى شـــواطئها ؟
إســـكندريةُ .. مـــاذا فـــى مواتيهـــا ؟
إســـكندريةُ .. مـــاذا فـــى شـــوارعها ؟
إســـكندرية .. مـــاذا فـــى مقاهيهـــا ؟
إســـكندريةُ .. هـــذا البحـــر منفـــتحٌ
على السماء .. وفيـــه كـــلُّ مـــا فيهـــا
ألوانُهـــا ، وحوافيهـــا ، وأنجمُهـــا
صـــفاؤها .. وضـــبابُ الغَـــيْم يطويهـــا
إســـكندرية .. هـــذا البحـــر لؤلـــؤةٌ
فـــى صـــدر حســـناء لا تخفـــى لآليهـــا
تُعطـــى لكـــل شـــجىٍّ بعـــضَ حاجتـــه
حتـــى تكـــون لـــه ذكـــرى يناجيهـــا !

*   *

نزلْتُهـــا وظـــلام الليـــل حاجبُهـــا
ورحـــت أذرَعُهـــا ، والشـــمسُ تبـــديها

بعـــضُ المفـــاتن لا تخشـــاك عاريـــةً

بعض المفـــاتن تخفـــىَ عنـــك تَمْويهـــا

وكلما اجتـــزتُ فـــى مســـراى ناصـــيةً

وجـــدت مـــا يمـــلأ الـــدنيا أَفَاويهـــا

خلـــف الشـــبابيك أحـــلام مســـافرةٌ

تعلو بهـــا السُّـــحْبُ أحيانـــاً ، وتـــدنيها

مـــن كـــل فاتنـــةٍ فـــى طرفهـــا حَـــوَرٌ

تطـــوى الضـــفائر أو تســـخو فتُرخيهـــا

إذا رأتـــك غريبـــاً لـــم تجـــد حَرَجـــاً

أن تحتويـــك بأجفـــان تُســـجّيها

*   *

أظـــل أمشـــى وفـــى خطـــوى مغـــامرةٌ

إســـكندرية بـــالأحلام ترويهـــا

وذلـــك الجســـد المبتـــلّ فـــى يـــدها

كـــالقطّ .. يشـــربها دفئـــاً ويـــدميها

بعـــضُ الـــدماء إذا ســـألت تهـــدّئنا

وبعضـــها مـــا يـــزال الحســـن يَغْلِيهـــا

أنّــى خطــوتُ فللأشــواق رقصــتُها

وللصـــــبابة ألحـــــانٌ تؤدّيهـــــا

وللهــوى موعــدٌ .. مــا كنــتُ أُخلفــه

مثــل الطيــور إذا حانــتْ مشـــاتيها

*　　*

جلستُ والبحـرَ .. مشـتاقينْ يجمعنـا

تــوْقٌ إلــى جــزر غامــت شــواطيها

وصائدو الســمك الفضــى .. تحملهــم

زوارقٌ قــد تنــاءت عــن مراســيها

شــباكهم تترامـــى فـــى مراوغـــةٍ

والبحـــرُ يمنعهـــا طـــورا ، ويعطيهـــا

وللنـــوارس فـــوق المـــاء رفرفـــة

تعلـــو وتـــدنو بـــلا خـــوف يواتيهـــا

هنا الســماء تصــافت فــى مصــالحة

وللريـــاح شـــذىً تشـــتمُّه فيهـــا

*　　*

وبينمـــا الشـــفق الـــوردىّ منتشـــرٌ
لمحتُهـــا قامـــةً .. ســـبحانَ باريهـــا !
كانت تسير على الكورنيش فـــى مَهَـلٍ
ثوبُ الحـــداد عليهـــا .. لـــيس يخفيهـــا
ورغـــم ألـــف فتـــاةٍ كلهـــا مـــرحٌ
وجـــدتُ قلبـــى إلـــى النجـــوى يناديهـــا
سألتُها : ما وراء الـــدمع ؟ فاضـــطربت
لكنهـــا أدركـــت أنّـــى أواســـيها
الحـــزن للحـــزن مشـــدودٌ بعاطفـــةٍ
حتـــى إذا التقـــت العينـــان يبـــديها
* *
أخذتُ أسردُ "تـــاريخ الخطـــوب" ، ومـــا
يأتى الزمـــانُ " .. و "للـــدنيا مآســـيها"
حتـــى وصـــلت إلـــى "قلبـــى ونكبتـــه"
وأنّنـــى عـــن صـــديقٍ لا أداريهـــا
كيـــف اطمأنـــتْ إلـــى صـــدرى تبادلـــه
خفقـــاً بخَفْـــقٍ ، وبالتأويـــه تأويهـــا

ولـــم تـــردْ ذراعـــى حينمـــا ارتفقـــتْ

ذراعهـــا لعبـــور الـــدرب تحميهـــا

* *

اســـكندريةُ مـــاذا فـــى شـــواطئها

إســـكندرية مـــاذا فـــى مواتيهـــا ؟

إســـكندرية مـــاذا فـــى شـــوارعها

إســـكندريةُ مـــاذا فـــى مقاهيهـــا ؟

إســـكندرية حُلْـــمٌ لـــيس يقطعُـــهُ

سوى الكرى .. ورحيلى عـــن مغانيهـــا

كومة الرسائل القديمة

لم يكن فــى نهايــة الــركن إلا مكتب فــارغ ، وبعــض المقاعــدْ
نسجت حولهـــا العناكـــب ســداً جففــت فوقـــه الـــذباب المطـــارد
واســـتقر الغبـــار فـــى طبقـــات أخفت الحبر من وجـــوه الجرائـــد
وعلى أرفـــف الجـــدار تراصّـت كتب ، لم يعــد بهـــا مـــا يعـــاوَد

*   *

ومشى قاصداً .. إلى حيث تثوى كومـــة مـــن رســـائل ومواجـــد
أشعل النـــور ، وانحنـــى يتملّـــى مـــا بهـــا مـــن توافـــق وتعانـــد
أى عمـــر مضـــى ، وأى قطـــار أسرع الخطو بـــالمنى ، وتباعَـــد !
ها هنا نجمـــة تنامـــت مـــع الحـــب ، وماتـــت غريبـــة فـــى المراصـــد
ها هنا قطرة مـــن الطـــلّ ذابـــت ها هنا صرخة طوتهـــا الشـــواهد
أطبق الخوف فى دروب الليـــالى ومشى العجز فى عروق الســـواعد
كان عصراً محطمـــاً ، وســـلاحاً ليس يغنى فى حملـــه ألـــفُ قائـــد

*   *

ما الذى حرك الصبابات ؟ من ذا كشف الجرح ، واســـتباح المراقـــد
بعضـــنا تقبـــل الطيـــوفُ عليـــه بعضـــنا يغتـــدى لهـــا ، ويجاهـــد
غير أن الصباح يشـــرق دومـــاً فيذيب الأسى ، ويُطفـــى المواقـــد

الاحتراق الكامل

وضعت فى الحب آمالى ومـــا اكتســبت
سنين عمرى ، وقلــبت الحــب مرتَفَقــى
مشيت فى الشمس ، لا ظل سوى عرقى
سهرت ليلــى ، لا خــل ســوى أرقــى
وقـــال كـــل صـــديق : مالـــه شـــردت
به الخطى فى صحارى الوهم والقلق ؟!
حتـــى رأيتـــكَ فـــى أحـــلام قـــافلتى
نبعـــاً مـــن الحســـن والإبهـــار والألـــق
أطلقت كـــل غنـــائى ليـــت ترفـــق بـــى
وأســـمعتك ابتهـــالاتى مـــدى رهقـــى
نظـــرتَ نحـــو هزالـــى دون مرحمـــة
وقلتَ : هــذا محــب غيــر محتــرق !

المـــال

عفــرتُ وجهـــى فـــى تـــراب ترابـــهِ
وقفـــتُ أيـــامى علـــى أعتابـــهِ
أرجـــو وآمـــل أن تنـــال رغـــائبى
منـــه ، وأحظـــى بالرضـــا مـــن بابـــه
حتـــى إذا ســـمحت يـــداه ، تـــدفقت
أنهـــاره ، وغـــدوت قيـــد ركابـــه
كانـــت ســـنينى قـــد تكسّـــر عودهـــا
والقلـــب أقفـــر مـــن رؤى أحبابـــه
ووقفت أهمـــس فـــى الـــذين تجمعـــوا
حولى : أنـــا يـــا قـــوم لـــم أســـعدْ بـــه

الفقـــر

فـــى الفقـــر تنكســـر القلـــوب وينحنـــى

جبـــلُ الإبـــاء علـــى ثـــرى إخفاقـــهِ

مهمـــا تماســـكت الكرامـــة إنهـــا

مهزومـــة فـــى دربـــه وســـباقه

وأشـــد مـــا يجنـــى الفتـــى مـــن فقـــره

أنّ الصـــديق يفـــرّ دون عناقـــه

والنـــاس تجفـــوه ، وتلفظـــه الـــرؤى

حتـــى الـــدموع تجـــف مـــن أحداقـــه

إنـــى بلـــوت صـــباحه ومســـاءه

وعرفـــت ذل الأســـر فـــى أطواقـــه

الفقـــر ســـرداب يـــؤدى للـــردى

ويجـــرد الإنســـان مـــن أخلاقـــه

السلطـــة

يتطـــاول الإنســـان رغـــم قصـــوره
ليحـــوز حـــق الله فـــى عليائِـــهِ
ولو اســـتطاع لقـــال "كُـــنْ" ، وتحكمـــتْ
كفـــاه فـــى ســـير الســـحاب ومائـــه
ويظـــل يصـــعد فَـــى ذرى أهوائـــه
ويظـــن أن الخلـــد مـــن أســـمائه
الأرض مـــا نُصـــبت ســـوى لمـــروره
والناس مـــا وُجـــدوا ســـوى لرضـــائه
ينهـــى ويـــأمر ، لا معقّـــب بعـــده
متوحـــداً فـــى صـــبحه ومســـائه
حتـــى يفاجـــأ بانهيـــار شـــموخه
ويـــداس فيمـــا ديـــس مـــن نظرائـــه

الشبـــاب

أطلقـــت فـــى دنيـــا الشـــباب كتـــائبى

وركـــزت رايـــاتى علـــى الآفـــاقِ

ما كان ثَمّةَ مـــا يخيـــف علـــى الربـــى

كـــلا ، ولا فـــى أعمـــق الأعمـــاق

كـــل الفضـــائل والرذائـــل ســـاحة

مفتوحـــة دونـــى ، ودون رفـــاقى

نمتاح مـــن كـــأس الحيـــاة ، وكأســـها

صـــاف ، بـــلا كـــدر ولا إمـــلاق

نقضـــى النهـــار مغـــامرين ، ونلتقـــى

لنـــرود مـــا فـــى الليـــل مـــن أســـواق

كـــان الشـــباب يمـــدنى بعصـــارة

أزهـــو بهـــا فـــرداً علـــى العشـــاق

واليوم حين ســـرى المشـــيب بمفرقـــى

أصـــبحت لا أقـــوى علـــى الأشـــواق

الحب

الحب لا يأتى إلينا هينا
الحب يصعقنا بلا إنذار
هى نظرة مازلت أذكر لونها
ومكانها فى هَذأتى ونهارى
راقت كأن الدهر ليس يشوبها
وتمكنت منى ، ومن أفكارى
وشعرت أنى سابح ومحلّق
ما عدت مخلوقاً من الفخار
طوّفت بالسحب البعيدة ، واحتوت
كفّاى ما حملت من الأمطار
وسمعت موسيقى الفضاء ، وأشرقت
شمسى ، وآلاف من الأقمار
واليوم تثقلنى خطاى ، فلا أرى
إلا خيالات على الأسوار

الانتظـــار

الـــنجم فـــى كبـــد الســـماء رصـــدتُهُ
والصمت فـــى عمـــق الـــدجى غربلتُـــهُ
ووقفـــت أصـــغى للخطـــى فـــى وقعهـــا
حتـــى اهتـــزاز العشـــب قـــد ميزتـــه
وعلى المدى علقتُ مصـــباحى ، عســـى
يبـــدو الـــذى طـــولَ الســـنين رجوتـــه
كانـــت ملامحـــه تـــداعب خـــاطرى
ورؤاه تعبـــث بالخيـــال ، وصـــوته
وأتـــابع الـــزمن البطـــئ يثيرنـــى
إبطـــاؤه ، وتهـــدنى دقاتـــه
حتـــى إذا وصـــل القطـــار ، وأبطـــأت
عجلاتـــه ، وتفتحـــت شـــرفاته
ظهر الذى لـــم أنتظـــره .. ولـــم يجـــئ
مـــا عشـــت آملـــه ، ومـــا أحببتـــه !!

الطفولـــة

تتواثـــب الضـــحكات فـــى خطواتهـــا

ويشـــع نـــور الله مـــن نظراتهـــا

وتعـــيش أســـعد لحظـــة فـــى روضـــها

وتطيـــر حالمـــة علـــى ســـاحاتها

لا الأمس يُقلقهـــا ، ولا الغـــد مـــوحش

والشـــمس دائمـــة علـــى شـــرفاتها

ألعابهـــا هـــى كـــل مـــا ترجـــوه مـــن

أيامهـــا ، فـــدعوا لهـــا لعباتهـــا

وتقبلوهـــا مثلمـــا هـــى ، واحـــذروا

أصـــواتكم تعلـــو علـــى أصـــواتها

هـــى درة العمـــر الجميـــل ، ومنحـــة

لا تســـتعاد ، فقـــدروا نفحاتهـــا

مـــرت ســـحابتها علـــى قلبـــى نـــدى

مازلـــت ظمآنـــا إلـــى قطراتهـــا

الشـــك

هى نظـرة ، هـى لفتـة ، هـى نـارُ
لا تسـتقر بلفحهـا الأفكـارُ
وأظـل مشـتعل الظنـون ينوشـنى
قلـق ، ويهـدم راحتـى اسـتنكار
أيـن اليقـين ؟ غشـاوة وغبـار
وتمـزق وتلاطـم ونفـار
وأقـول : مـاذا لـو أكـون مضـللاً
والعـين قـد تخفـى عليهـا الـدار
فتزورنـى الأحـلام صـارمة الـرؤى
ويزيـد مـن فـوق السـتار سـتار
وأروح أبحـث عـن بقايـا شـمعة
يبـدو علـى ومضـاتها اسـتقرار
فـإذا بعقلـى غـائم ومشـتت
طـوراً يفيـق ، وتـارة ينهـار

الصداقــة

عطــــر الصــــداقة مـــايزال رحيقـــه

في مهجتي ، وشـــذاه مـــلء مشـــاعري

فيها قضـــيت طفـــولتي ، وقطفـــت كـــل

ســـعادتي ، وحرقـــت كـــل مبـــاخري

أعطيتهم حـــر الـــولاء ، ورحـــت فـــي

خـــدماتهم أســـعى بكـــل خـــواطري

وبذلت من روحي الكثيـــر ، ولـــم أقـــف

مترقبـــاً ، أرجـــو جـــزاء خســـائري

كانـــت صـــداقتهم ربيـــع مواســـمي

ونســـيم أيـــامي ، وفجـــر بشـــائري

ودّعـــتهم فـــوق المحطـــات التـــي

نزلـــوا بهـــا أحـــداً وراء الآخـــر

ورجعـــت وحـــدي مـــثقلاً بـــوداعهم

وهـــمُ خفافـــاً أبعـــدوا كالطـــائر

الحقـــد

يسرى كطعم الملــح فــى فــم ظــامئ

ويــدب مثــل الســم فــى الأعضـــاء

وعلى ضــياء الشــمس يلقــى غيمــةً

ويســد وجــه الأفــق بالظلمـــاء

ويــدور فــى الأعمــاق ثــوراً هائجــاً

فيــدوس كــل ســكينة وصــفاء

ويظل يصرخ : ما الذى قسـم الحظــوظ

وأغــدق الحســنى علــى البلهــاء ؟

وأنــا أحــق أم الــذى لا يســتحق ؟

وكيــف لا أرقــى مــع النظــراء ؟

قابيــل مــن بــدء الخليقــة .. خطــه

دربــاً لطائفــة مــن التعســاء

السعـــادة

قالوا : الثـــراءُ ، فقلـــت : قـــد يتبـــدّدُ
وإذا طغـــى أعمـــى ، وخانتـــه اليـــدُ

قالوا : السيادة ، قلـــت : نزعـــة واهـــم
والمـــرء محتـــرق بهـــا ومهـــدّد

قالوا : الهوى والعشق ، قلت إلى متى ؟
هـــى جـــذوة تخبـــو ، ولا تتجـــدّد

قالوا : صحيح الجسم ، معتـــدل القـــوى
قلـــت : اختـــرام الـــداء لا يتـــردّد

قالوا : احتراف الفكر ، قلـــت : خديعـــة
الفكـــر قـــد يـــؤذى الســـعيد ويفُســـد

قـــالوا : إذن فلـــم الجميـــع متـــيمٌ
بجمالهـــا ، والكـــل ســـاعٍ مُجهَـــدُ

قلت : الطريـــق هـــو الســـعادة نفسُـــه
فتـــأملوه فـــى خطـــاكم تســـعدوا

الإيمـــان

ألقيـــتُ فـــى بحـــر الظنـــون ســـفينى
وطرقـــتُ كـــل شـــواطئ التخمـــينِ
وشككت ، حتـــى فـــى وجـــودى نفســـه
وجحـــدتُ ، حتـــى غـــاب كـــل يقينـــى
غـــدت الحيـــاةُ كئيبـــة ، والأمنيـــاتُ
مريضـــة ، والكـــونُ جـــدّ حـــزين
لا الشمس تمنحنى الضياء ، ولا النـدى
يهمـــى علـــىّ ، ولا الســـما تحمينـــى
حتـــى تفجـــر فـــى كيـــانى فجـــأة
نـــور ، بـــلا كـــدر ولا تلـــوين
نور ســـرى فـــى كـــل جارحـــة ، فمـــا
أبقـــى لـــدىّ أثـــارة مـــن طـــين
أصـــبحت إنســـاناً جديـــداً ، كلمـــا
قابلـــت مخلوقـــاً بســـطت يمينـــى

الزهـــد

أنقـــذت مـــن متـــع الحيـــاة حيـــاتى
وغرقت فـــى صـــومى وفـــى صـــلواتى
وحلمـــت بـــالنور الـــذى لـــم ينبثـــق
إلا لمحتـــــرق علـــــى مشـــــكاة
وظللت أمشى فـــى الصـــحارى مفـــرداً
وإذا أقمـــــت قصـــــدت جبانـــــات
ظهـــرت خـــوارق ، لـــم أكـــن متيقنـــاً
أنـــى بهـــا قـــد صـــرت فـــى الســـادات
وتجمـــع النـــاس الـــذين هجـــرتهم
يتلمســـون الخيـــر مـــن دعـــواتى
مـــا كنـــت أمنـــع قاصـــداً بمحبـــة
كـــــلاً ، ولا متوجعـــــاً بشـــــكاة
بـــاركتهم ، فـــإذا بقلبـــى عـــالق
بحبـــالهم ، وحيـــاتهم بحيـــاتى !

النجـــاح

الأرض تغـــرق فـــى الضـــياء ، وكلمـــا

يمّمـــــتُ أفقـــاً هـــــلّ بـــــالأفراحِ

وأحـــسّ أن الكـــون محتفـــل معـــى

وعلـــى رباه يـــرف ألـــف جنـــاح

وأرى المصـــاعب قـــد تلاشـــى ظلّهـــا

مـــا عـــدن إلا ذكريـــات كفـــاح !

وســـعى المهنـــئ بالمـــديح ، وأبلســـت

شـــفتا حســـود بعـــد طـــول نبـــاح

وجلست وحدى فى المساء أراقب الـــ

ــــقمر ، الـــذى قاســـمته أتراحـــى

كانـــت ملامحـــه تحـــول ، وضـــوءُه

يخبـــو ، وكـــان مهيّـــأً لـــرواح ..

أدركـــت أنـــى مـــا انتهيـــت ، وإنمـــا

هـــى دورة الإمســـاء والإصـــباح

الشهـــرة

اســـمى يــرردده الجميـــع ، وكلمـــا
شـــوهدت ضـــجّ النـــاس بالتصـــفيقِ
وبكـــــل زاويـــــة أرى متعجبـــــاً
مـــن رؤيتـــى ، أو معجبـــاً بطريقـــى
ومشـــاكلى يســـعى الجميـــع لحلهـــا
ورغـــائبى موصـــولة التحقيـــق
حتـــى أتـــى اليـــوم الـــذى شـــاهدته
يمشـــى علـــى شـــط بغيـــر رفيـــق
كـــان اســـمُه أقـــوى ، وكـــان طريقـــه
يزهـــو بـــألف مشـــجّع وصـــديق
ســـاءلته : مـــاذا جـــرى ؟ فتقلصـــت
شـــفتاه ، واحتـــبس الأســـى بـــالريق :
مـــن يســـرق النيـــران مـــن أربابهـــا
لا ينتهـــى أبـــداً بغيـــر حريـــق !

الغربـــة

الشارع الممتد .. لا تتوقـف الخطـوات

فيـــه عـــن التـــوازى والتقـــاطع

والأوجه المتحجـرات تمـرّ صـــارمة ،

ولا تعطـــى التفاتتهـــا لضـــائع

واقول : قد ألقـى أخـا مـن مـوطنى

يصغى إلى ما شفّ روحى مـن مواجـع

فـــأراه لا .. لا يســـتجيب ، وكلمـــا

حازيته ، وهممت بالشـكوى ، يسـارع

فأعود للطرقات أذرعها وحـين أدوخ ،

أخـــرج للضـــواحى والمـــزارع

حتى الطيور تشيح أوجههـا وتسـأل :

ما الذى ألقـاه فـى تلـك المرابـع ؟ !

الجريمــــة

مهمــــا غســـلت يـــديكَ مـــن آثارهـــا
وأقمـــت جـــدراناً علـــى أســـرارها
مهما دفعت الشـــك عنـــك ، ولـــم تعـــد
فـــى قلـــب دائـــرة الظنـــون ونارهـــا
مهمـــا جلســـت مـــع الـــذين تعـــوّدوا
أن يصـــدروا الأحكـــام فـــى أخطارهـــا
فلسوف تبقـــى فـــى ضـــميرك صـــرخةً
تتجـــاوب الأعمـــاق باســـتنكارها
أنـــت الـــذى دبرّتهـــا .. أنـــت الـــذى
نفـــذتها ، وكســـرت كـــل جرارهـــا
دمهـــا علـــى كفيـــك ، جثتهـــا علـــى
كتفيـــك ، والســـكين تحـــت إزارهـــا
فبـــأى وجـــه تلتقـــى بصـــغارها
وبـــأى درب تختفـــى مـــن ثارهـــا

النـــدم

يصـــحو إذا هـــبط المســـاء ، وينثنـــى
متســـللاً فـــى الحلـــق مثـــل الحنظـــلِ
هـــذا اللعـــاب المـــر ، لا تمحـــوه
زخـــات الســـحاب ، ولا ميـــاه الجـــدول
ويروح فى صـــدرى يغـــوص ، وكلمـــا
قاومـــت .. لـــم يهـــدأ ولـــم يتمهـــل
يقتـــادنى للأمـــس ، يأخـــذنى إلـــى
بئـــر ، كســـرت علـــى ثراهـــا معـــولى
ويظـــل يرمقنـــى بنظـــرة عاتـــب
ويـــرج أعمـــاقى بصـــوت مخجـــل
حتـــى أكـــاد مـــن الضـــآلة أنمحـــى
وأغيب عـــن يـــومى وعـــن مســـتقبلى
وأرى الدموع تفيض من روحـــى كمـــا
تهمى الشـــموع علـــى رخـــام الهيكـــل

الحرب

الحرب تبدأ بالطبول عزيزة
وتزلزل الأرجاء فى إقدامها
يختال لون النصر فى آمالها
ورؤى الغنيمه منتهى أحلامها
وإذا تأملت الجنود وجدتهم
يتشوقون إلى انكشاف لثامها
والقادة ازدانوا بباهر زيهم
ومشوا كما الطاووس نحو ضرامها
حتى إذا حمى الوطيس ، تساقط
الجرحى ، وسال الطين فوق عظامها
ومشى الردى بين الصفوف ومزقت
أظفاره ما شاء من أعلامها
فإذا المساء سجى .. تأوه جائع
وتكومت ثكلى على أيتامها

التاريخ

لا صدق إلا فى الردى ، أما الحياة

فكلها كذب تقنع بالبراءه

نحن الذين نقص من أخبارنا

ونخط أحلى ما نرى إفشاءه

نخفى رذائلنا ، ونكتب مثلها

عن غيرنا ، ونزيدهن إساءه

فإذا أتى الجيل الذى من بعدنا

ورأى شواهدنا تفوق سماءه

ألقى علينا فى الظلام عباءة

حتى يدارى عجزه وغباءه

وسعى ليبنى مجده بعظامنا

ويدق فوق حروفنا إمضاءه

يأتى ويذهب عابرون ، وكلهم

يرجو ويأمل أن يديم بقاءه

الخيانـــة

ما كنـــت أحســـب أن هـــذا النهـــر قـــد
يتفجـــر البركـــان مـــن أحشـــائهِ
أو أن هـــذا الـــروض يصـــبح فجـــأة
قبـــراً تئـــز الـــريح فـــى أرجائـــه
أو أن لـــون الشـــمس يغـــدو داكنـــاً
ويحـــول وجـــه البـــدر بعـــد بهائـــه
حتـــى عرفـــت الناقضـــين عهـــودهم
والخـــائنين الوعـــد قبـــل وفائـــه
والطاعنين الظَّهر فـــى قلـــب الضـــحى
والـــدافنين الحـــى قبـــل قضـــائه
شـــاهدتهم .. فـــإذا الوجـــوه خرائـــب
وإذا العيـــون كمـــا الزجـــاج الشـــائه
طبـــع الثعالـــب لا تنـــام قريـــرة
إلا إذا ســـرقت جـــراب التائـــه

المشـــيب

أقســـى عـــذابك أن يعضـــك جـــوعُ
والأكـــل رغـــم وجـــوده ممنـــوعُ !
وإذا اجتذبت هـــوى الحســـان تخاذلـــت
منك الخطـــى ، والقلـــب فيـــك وجيـــع
وإذاَ رغبـــت تقاصـــرت بـــك قـــدرة
عـــن أن تحقـــق مـــا تـــراه يضـــيع
بُـــدّلت مـــن تلـــك المحامـــد حكمـــة
وفطانـــة ، تشـــرى بهـــا وتبيـــع
ولقـــد تصـــير مـــبجلاً ومفخمـــاً
لكـــن لـــون الشـــعر فيـــك صـــقيع !
مدحوا المشيب وأوغلـــوا فـــى مدحـــه
إن المـــريض يخيفـــه الترويـــع !
ولـــو اتصـــفوا وضـــعوه فـــى أكفانـــه
فالشـــيب درب للوفـــاة ســـريع

المـوت

لا شـىء يهـزم قـدرة الإنسـانِ
إلا حلـولُ المـوت فـى الأبـدانِ
يغتـال نضـرتها ويطفـئ لونهـا
ويحيلهـا مـن عـزة لهـوان
أين العيـون السـاحرات ؟ وأيـن مـن
طعناتهـا فـى أضـلع الفرسـان ؟
أين الشـباب ؟ وأيـن مـن جولاتـه ؟
أيـن الصـبا المهتـز كالأغصـان ؟
أيـن العقـول النافـذات ؟ وأيـن مـا
يحمـى بـه السـلطان مـن سـلطان ؟
هذا الجـدار الصـلد كـان ولـم يـزل
مسـتغلقاً .. حتـى علـى الشـيطان
كـل الـذين تسـاقطوا مـن خلفـه
قبلـوا اختـزان السـر فـى إذعـان

الذكــرى

صور من الماضى الجميــل ، وبعضـــها
صور مـــن الماضـــى الحـــزين الملهـــم
تغفـــو علـــى الجـــدران فـــى أعماقنـــا
وتقـــيم فـــى اســـتغراقها المتكـــتّم
حتـــى إذا فـــاض الأســـى بقلوبنـــا
وتكســـرت فيهـــا مئـــات الأســـهم
عـــدنا لهـــا متهـــالكين مـــن السُّـــرى
عـــدنا لهـــا نشـــكو الزمـــان ونحتمـــى
فـــإذا بهـــا تحنـــو علينـــا رقـــة
وتضـــــمنا بأمومـــــة وتـــــرحّم
هى قطعـــة منـــا ، يصـــارعها الـــردى
لكنهـــــا شـــــمّاء لـــــم تتهـــــدّم
وتظـــل فـــى الصـــحراء واحـــة تائـــه
ومـــع الليـــالى الســـود باقـــة أنجـــم

ذكريات المولد النبوى

شرف إذا أنشدت تحت لوائهِ ومنى أحققها بفضــل رضــائهِ
وخواطر تسمو إذا ما لامست أعتاب روضته ، وطرف ردائــه
يا سيدى .. والذكريات كثيرة يهفو لها الظمآن فى صــحرائه
أنا ما قصدتك شاعراً بمديحه لكن قصــدتك عاشــقاً بصــفائه
تتعثر الكلمات فــوق لســانه والشوق مســتعر بكــل دمائــه
وكذا المحب إذا طغت برحاؤه لم يدر كيف يبين عن برحائــه
إن قال أعيان البيان ، وإن شــكا جرت الدموع ، فخففت من دائه
فاقبل دموعى يا رسول ، ولا تدع قلبى الضعيف معلقــاً برجائــه
تتجاذب الأرض الخراب ربيعه وتشــده الــدنيا إلــى أهوائــه
مازال فى البستان بعدُ .. بقية تترقــب الفجــر النــدىّ بمائــه
فامنح ظماها من غديرك قطرة فلربما ازدهرت علــى إروائــه

* *

يا يوم ميلاد الرسول .. تحية والكون محتفــل بكــل روائــه
يتنسم الذكرى الحبيبة ، كالذى يهفو إلى المصباح فى ظلمائــه
يوم تبسمت الربى لصــباحه وتمايلت بالبشر عنــد مســائه
وازينت هذى الحيــاة لمولــد فاضت بشائر خيــره وعطائــه

الله باركــه فــأطلع شمســـه في ليلة ضاءت بنــور ســنائه
وسرت إلى أرض الحجاز ملائك تزجى أبــاريق الهــدى لنقائـــه
وتضم أطهر قــادم بجناحهــا ليضم كل الكــون فـــى أحنائـــه

* *

أو ليس هذا الطفل يوم خروجه للكــون أخرجــه إلـــى إحيائـــه
فتحطمت شرفات كسرى وانطوى ذلك البناء الضخم مـــن أبهائـــه
ولهيب فارس أخدمت نيرانـــه مـــا كـــان إلا شـــاهداً بفنائـــه
والجن من بعد الصعود إلى السما يتسقطون الســـر مـــن أمنائـــه
قذفت بأسواط يئــز لهيبهــا فى ظهر من يغريه وهم شــقائه
هى حكمة الرحمن ، حتى يزدهى فجر الوجود على دجى ظلمائـــه
فيزيل أسباب العداوة والهوى ليسيل نهر الحب فـــى غبرائـــه
يروى قلوب الظامئين مـــودة ويبث فيها الخيـــر مـــن أندائـــه
ما كان هذا مولدا ، بل مشرقاً طلعت على الدنيا فيوض سنائه

* *

ولد المحمد بالمحامــد كلهــا ختم النبــوة كـــان مـــن آلائـــه
حمل المراضع غيره ، وحليمة حملتـــه محفوفـــاً بكـــل بهائـــه
البشر فى قسماته ، والخصب فى خطواته ، والخيـــر قيـــد بقائـــه
وعلى الرمال تلقفته ملائــك نزلت بـــأمر الله مـــن عليائـــه

فتحت له الصدر الكريم، وطهرت قلباً يفيض النـــور مـــن لألائـــه

*   *

أضحى أمين القوم منذ شبابه ومطهر النزعات فـــى قرنائـــه
مادق باب اللهو مثل رفاقـــه كلا ، ولا أصغى إلـــى إغرائـــه
يرعى الشياه لكى يرق فؤاده ويحس أصل الداء فى عجمائـــه
فغداً سيرعى الناس ، يرعى أمة تخطو إلى بـــر الهـــدى بلوائـــه
سائلْ حراء يجبك عن خلواته وقيامـــــه لله تحـــت ســــمائه
وهجوده الليل الطويل مفكــراً صوت السماء يرن فى أحنائـــه
ما كان أطهـــره نبيـــاً هاديـــاً الله كرمــــه بحســـــن ولائـــــه
وافاه جبريل الأمين ، يزف بشرى الوحى ، مزدانـــا بكـــل روائـــه
"اقرأ.." وأخلدت الفيافى للصـــدى تتلقـــف الإلهـــام مـــن إلقائـــه
الأرض ظمآى ، والربوع جديبـــة والعقل منكفـــئ علـــى أهوائـــه
حتى الحضارات اغتصاب جماعة عرق الورى ، تمتص من أدوائه
كسرى هو الرب الكبير لفـــارس يتقدم القربـــان فـــى إرضـــائه
والقيصر المزهو يحكم شعبه بالنار ، والتقديس من أســـمائه
يا ثورة العقل الأسير .. تفجـــرى فالليـــل ممتـــد علـــى بؤســـائه
طلع الرسول على الصفا ، كلماته الخضراء رايات علـــى أرجائـــه

تتنداح فى الآفاق فيض هدايه   وتعيد للإنســان فجــر صــفائه

*   *

أواه يا دنيا العمى ، ما بالــه   غشى العيون ، ولج فى غلوائه

فقريشُ تعرفه الأمين ، وإنما   من للغواية فــى كيــان التائــه

سخروا ، وقالوا : إنما هو ساحر   بل قد رمــوه بــالجنون ودائــه

يا سيدى ، روحى فداك وأنت فى   هذا الظلام ترد زحــف غبائــه

فتقول والدنيا يحركها الهوى   ويسوقها الشيطان فى إغوائــه

والله لو وضعوا الشموس براحتــى   وأتوا بهذا البــدر مــن عليائــه

ما أسكتوا صوت الرسالة فى فمــى   أو يحتوينى الموت فى أشــلائه

هذا الكفاح ولم نكن ندرى به   حتى أتيت فصغت نســج لوائــه

وجلوته للناس أروع صــفحة   يسمو على الأيام صــرح إبائــه

فلتسمع الدنيا حديثك ، وليفق   هذا الوجود من اختناق هوائــه

*   *

المعجزات شواهد محسوســة   للجاحدين النــور مــن أعدائــه

البدر منشق ، وحبات الحصى   متكلمــات ، والغمــام بمائــه

والجذع من فيض الحنين تمايلت   أعطافه ، وشــكا إليــك بدائــه

والشاة أنطقها الذى فى ملكه   يحميك من سم الــردى وبلائــه

*   *

يا دوحة القرآن .. ظلـك وارف ولأنت فاتحة الهـدى وعطائـه
ماذا يزف لك البيان وصـوته فى الأرض ، والإغضاء ملء ردائـه
إنى لأعجب من نواميس الـورى يتفـنن الإنسـان فـى آرائـه
والحق فى القرآن شمس هداية لا تختفى من صـبحه ومسـائه
أو ما تحرك بالحياة فهزهـا بعد الممات ، ومد من فيحائـه
انظر لأعراب الصحارى ، أصـبحوا أمراء هذا الكـون باسـتهدائه
أسبانيا والصين شطا ملكهـم فاعجب لملك ضاع من أمرائـه
تركوا يد القرآن بعد صـداقة وغدوا بليل الضعف من غربائه

* *

يا سيدى ، والذكريات كثيـرة يهفو لها الظمآن فى صـحرائه
امددْ يـديك لعـالم متمـزق الخوف أخرسه ، وغص بدائـه
يبدو لعينيه الردى من صنعه وتضـج بالإلحـاد كـل دمائـه
مهما تفنن فالضياع بصـدره مر ، يكدر منـه نهـر صـفائه
إيمانه بـالله سـر سـعوده ما بالـه ينكـب نحـو شـقائه

* *

يا ذكريات المولد النبوى معـذرة إذا أبعـدت عـن إيحائـه
فجأرت بالشكوى ، وثرت بعـالم نهم ، يمور الحقد فـى أنحائـه
ماتت أغانيه ، وجف غـديره وأراه يسـعى قاصـداً لفنائـه

* *

يا سيدى ، وأنا الضعيف بليله   أتنسم الإشـــراق مـــن ظلمائـــه
قلبى يحدث بالدموع ، وخـــاطرى   بذنوبه يدعوك صـــوت حدائـــه
رفقاً به ، فلربما عـــادت لـــه   نسمات راحته وصـــفو هنائـــه
فتنفس الفجر الكبيـــر هدايـــة   وروى الظما من أرضه وسمائه

الفهرس

مطبعة العمرانية للأوفست
المنيب ت: ٧٧٧٩٣٩٨